جامعة النجاح الوطنية
كلية الدراسات العليا

النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم

إعداد
حمزة عبد الله سعادة شواهنة

إشراف
د. عودة عبد الله

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول الدين بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية في نابلس، فلسطين.
2014م

النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم

إعداد

حمزة عبد الله سعادة شواهنة

نوقشت هذه الأطروحة بتاريخ: 17 / 3 / 2014م، وأُجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	التوقيــع
- د. عودة عبد الله (مشـرفا ورئيسا)	....
- د. حاتم جلال التميمي (ممتحنا خارجيا)	....
- د. خالد علوان (ممتحنا داخليا)	....

الإهداء

* إلى خير البرية، ونبيّ الإنسانية، ومعلّم البشرية، سيدنا **محمد** ﷺ.

* إلى مصابيح الدُّجى، وأعلام الهدى، إلى **الصحابة** الكرام ﵃.

* إلى اللَّذَيْن قال الله في حقّهما: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾[1]، إلى **والديّ** الكريمين، ينبوع الودّ والحنان، أطال الله عمرهما في طاعته.

* إلى رفيقة دربي، وشريكة حياتي، السيدة الحنون الوفيّة: **أم عبد الله** حفظها الله.

* إلى مَن وهبهم الله لي؛ ليكونوا باقة وردٍ تتفتّح كلّ حين، إلى فلذات كبدي، ومهجة قلبي: **عبد الله**، و**منار**، سائلاً المولى أن يجعلهما من الصالحين.

* إلى أشقائي الكرام: **رمزي**، و**حازم**، و**نضال**، وزوجاتهم وأولادهم.

* إلى شقيقاتي الغاليات: **أم نور**، و**أم حسن**، و**أم أحمد**، و**أم مجدي**، و**أم وجدي**، وأزواجهن وأولادهن.

* إلى عمتي العزيزة: **أم يحيى**.

* إلى حمَويّ الكريمين: الشيخ **نائل الهندي**، وصاحبة القلب الحنون والدعاء المصون: **أم أحمد**.

* إلى الشموع التي أنارت لي دروب العلم والمعرفة، وارتشفتُ من ينابيع عِلمهم، إلى **أساتذتي** الكرام **ومشايخي** الأفاضل.

* إلى أسرة **مديرية التربية والتعليم** في محافظة **قلقيلية**، وأخصّ بالذِّكر منهم زملائي **المعلّمين** و**طلبتي** الأعزاء.

* إلى **المجاهدين** الأطهار، وأرواح **الشهداء** الأبرار، **والأسرى** الأحرار.

* إلى كلّ **مسلم** استجاب للنِّداء العذب النديّ: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥٣﴾[2].

إليكم جميعاً أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع على طبق من الحياء.

حمزة

---

[1] [الإسراء: 23]

[2] [الزمر: 53]

الشكر والتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبيَّ بعده.

بعد أنْ رسَت سفينة البحث على برّ الأمان، أجِدُ لزاماً عليّ الاعتراف بالجميل؛ امتثالاً لأمر المصطفى ﷺ القائل: "**مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ**"،[1] لذا فإني أقدّم مِن الشُّكْر أجزلَه، ومن العرفان أجمَله، ومن الثناء أعطَرَه، ومن الامتنان أوفاه، إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور: **عودة عبد الله** حفظه الله ورعاه؛ وذلك لتفضُّله بقبول الإشراف على هذه الرسالة؛ ولمَا أظهره من كريم التوجيه مِن أجل إخراج هذا العمل بأفضل صورة، فجزاه الله عنّي كلّ خير.

وإنه لمن الواجب عليّ في هذا المقام أنْ أتقدّم بالشكر والامتنان لعضوي لجنة المناقشة الدكتور الفاضل **حاتم جلال التميمي**، والدكتور الفاضل **خالد علوان**؛ لتكرّمهما بمناقشة هذه الرسالة، سائلاً المولى ﷻ أنْ ينفع بهما الإسلام والمسلمين.

والشكر موصول إلى **الأساتذة** الأفاضل كافّة الذين تلقّيتُ عنهم أشرَف العلوم.

كما لا أنسَى أنْ أقدّم شكري وتقديري للأستاذ الفاضل **سلامة عودة**، مشرف اللغة العربية في محافظة قلقيلية؛ لِمَا أبداه من متابعات لغوية، فبارك الله فيه.

وأختم شكري وتقديري لكلّ مَن أفادني بجواب، أو أمدَّني بكتاب، أو هداني إلى صواب، أو تفضّل عليّ بدعوة في ظهر الغيب خالصة للملِك الوهّاب، لهم منّي جميعاً خالص الشكر وجميل العرفان وعظيم الثناء، وأخصّ بالذكر المهندس **كفاح شواهنة** حفظه الله؛ لمَا أبداه من جهد مشكور للبلوغ بهذا العمل إلى درجاته الأسمى، وأسال الله أن يجعل ذلك في ميزان حسناتهم جميعاً، وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد، والحمد لله ربِّ العالمين.

[1] الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (ت: 279هـ): **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1- 1395هـ - 1975م)، حديث رقم (1954)، (4/ 339)، قال الألباني: صحيح.

الإقرار

أنا الموقع أدناه مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة إنما هو نتاج جهدي الخاص باستثناء ما تمّت الإشارة إليه حيثما ورد، وإنّ هذه الرسالة ككل، أو أي جزء منها لم يُقدّم من قبل لنيل أيّة درجة علمية أو لقب علمي أو بحثي لدى أيّة مؤسسة تعليمية أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification..

Student's name:	اسم الطّالب:
Signature:	التوقيع:
Date:	التاريخ:

فهرس الموضوعات

الرقم	الموضوع	الصفحة
1	الإهداء	ت
2	الشكر والتقدير	ث
3	الإقرار	ج
4	فهرس الموضوعات	ح
5	الملخّص	ر
6	**مقدمة**	1
7	الدراسات السابقة	3
8	أهمية الدراسة	4
9	أسباب اختيار الموضوع	5
10	مشكلة الدراسة	5
11	أهداف الدراسة	6
12	منهجية الدراسة	6
13	حدود الدراسة	7
14	خطة الدراسة	7
15	**الفصل الأول: النداء ودلالته في السياق القرآني**	9
16	المبحث الأول: معنى النداء	10
17	المطلب الأول: النداء في اللغة	10
18	المطلب الثاني: النداء في الاصطلاح	10
19	المبحث الثاني: النداء في السياق القرآني	12
20	أولاً: عرض مادة (النداء) في القرآن الكريم	12
21	ثانياً: الملحوظات العامة حول ورود مادة (النداء) في القرآن الكريم	18
22	المبحث الثالث: نظائر النداء في القرآن الكريم	19
23	المطلب الأول: الصراخ	20
24	المطلب الثاني: الأذان	21
25	المطلب الثالث: الدعاء	21
26	**الفصل الثاني: النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم**	25
27	المبحث الأول: أهمية النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام	27

28	أولاً: ربّانية المصدر	27
29	ثانياً: أشرف أنواع النداء	30
30	ثالثاً: فيه تكريمٌ لأُمم الأنبياء	30
31	رابعاً: الأصل أنه للعموم ما لم يُخصَّص	30
32	خامساً: تجدّد حاجة البشر إليه	30
33	سادساً: ترتّب عملٍ عليه	31
34	المبحث الثاني: السمات العامّة لآيات النداء الإلهيّ للأنبياء عليهم السلام	31
35	أولاً: حصر النداء في آيات النداء بحرف النداء (يا)	31
36	ثانياً: أنه يلحَق آيات النداء أمرٌ أو نهيٌ غالباً	32
37	ثالثاً: الطول في موضوع آيات النداء	33
38	رابعاً: كون آيات النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام تذكُر جلّ أسمائهم مجرَّدة	34
39	المبحث الثالث: الأنبياء الذين ناداهم الله ﷻ في القرآن الكريم	34
40	المطلب الأول: النداء الإلهيّ للنبي آدم عليه السلام	36
41	(1) خطاب التشريف بالتعليم	36
42	(2) خطاب الكرامة	36
43	(3) خطاب التحذير	37
44	المطلب الثاني: النداء الإلهيّ للنبي نوح عليه السلام	37
45	(1) خطاب اللوم والعتاب	37
46	(2) خطاب البشرى بالنجاة	38
47	المطلب الثالث: النداء الإلهيّ للنبي إبراهيم عليه السلام	38
48	(1) قصة الذبيح	38
49	(2) قصة مجيء الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام بالبشرى بإسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام	39
50	المطلب الرابع: النداء الإلهيّ للنبي موسى عليه السلام	39
51	المطلب الخامس: النداء الإلهيّ للنبي داود عليه السلام الحُكم بالعدل	41
52	المطلب السادس: النداء الإلهيّ للنبي زكريا عليه السلام استجابة الدعاء	41
53	المطلب السابع: النداء الإلهيّ للنبي يحيى عليه السلام	42
54	المطلب الثامن: النداء الإلهيّ للنبي عيسى عليه السلام	42
55	(1) خطاب الإخبار بالوفاة مجازاً	42

56	(2) خطاب التذكير بالنِّعَم	43
57	(3) خطاب التعريض بالذَّنْب	43
58	المطلب التاسع: النداء الإلهيّ للرسل عامّة عليهم الصلاة والسلام	44
59	**الفصل الثالث: أساليب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ**	45
60	المبحث الأول: النداء بصفة النبوّة	47
61	المطلب الأول: نداء البشرى بالكفالة	47
62	المطلب الثاني: نداء التحريض على الجهاد	50
63	المطلب الثالث: نداء الكشف عن سرائر الأسرى	53
64	المطلب الرابع: نداء الحث على مجاهدة الكفار والمنافقين	56
65	المطلب الخامس: نداء الحث على الاستزادة من التقوى	58
66	المطلب السادس: نداء النُّصح للنّبيّ محمد ﷺ	65
67	المطلب السابع: نداء إعلان الوظيفة الأساسية للرسول ﷺ	69
68	المطلب الثامن: نداء التشريع في أحكام زواج الرسول محمد ﷺ	72
69	المطلب التاسع: النداء المتضمّن تشريع الحجاب	74
70	المطلب العاشر: النداء المتضمن لشروط المبايعة	77
71	المطلب الحادي عشر: النداء المتضمّن أحكام الطلاق	82
72	المطلب الثاني عشر: نداء التلطّف في السؤال	87
73	المبحث الثاني: النداء بصفة الرسالة	93
74	المطلب الأول: نداء المواساة والتلطّف	94
75	المطلب الثاني: نداء التشجيع على التبليغ والصّدع بالحقّ	97
76	المبحث الثالث: النداء بأحواله ﷺ	102
77	المطلب الأول: النداء بالمُزَّمِّل نداء الإرشاد إلى فضائل الأعمال	102
78	المطلب الثاني: النداء بالمدّثّر النداء المتضمّن مستلزمات تبليغ الرسالة	105
79	المبحث الرابع: ما قيل إنه نداءٌ للنبي محمد ﷺ	111
80	المطلب الأول: نداؤه ﷺ ب(طه)	111
81	المطلب الثاني: نداؤه ﷺ ب(يس)	114
82	**الفصل الرابع: النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم – خصائصها – معانيها – ما يعقُبها**	116
83	المبحث الأول: خصائص النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ	118

84	أولاً: نداء النبيّ محمد ﷺ بالوصف لا بالاسم	118
85	ثانياً: تقيُّد نداء النبيّ محمد ﷺ بـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ﴾	119
86	ثالثاً: وجود فرق بين نداء الرسول محمد ﷺ والإخبار عنه	119
87	رابعاً: تصدُّر النداء الإلهيّ للرسول محمد ﷺ بدايات الآيات	120
88	المبحث الثاني: المعاني التي تضمّنتها النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ	123
89	المبحث الثالث: ما يعقُب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ	126
90	**الخاتمة**	129
91	**الفهارس العامة**	132
92	**فهرس الآيات القرآنيـة**	133
93	**فهرس الأحاديث النبويـة**	146
94	**فهرس الآثـار**	147
95	**فهرس الأعلام**	148
96	**فهرس الكلمات الغريبة**	149
97	**فهرس المصادر والمراجع**	150
98	**ملحق آيات الدراسة**	162
99	**Abstract**	B

النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم

إعداد

حمزة عبد الله سعادة شواهنة

إشراف

د. عودة عبد الله

الملخص

هذه الرسالة دراسةٌ قرآنية، وهي خطوةٌ على طريق التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، تناولت فيها موضوع النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، وقد قُسِّمت إلى أربعة فصول ومقدمة وخاتمة، كان الحديث في المقدمة عن أهمية هذا الموضوع، أمّا بالنسبة للفصول:

ففي الفصل الأول: كان الكلام عن **النداء ودلالته في السياق القرآني**. حيث اشتمل على تعريف النداء في اللغة والاصطلاح، وبيان نظائره في القرآن الكريم.

ثُمّ يليه الفصل الثاني بعنوان: **النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم**. واشتمل على أهمية النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام وسماته العامّة. واستعراض تلك النداءات.

ثُمّ يليه الفصل الثالث بعنوان: **أساليب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ**. واشتمل على بيان النداءات الإلهية للنبي محمد ﷺ بصفة النبوّة والرسالة وبما كان مُشتقّاً من حالته التي كان عليها. وبيان ما قيل: إنه نداءٌ للنبي محمد ﷺ.

وأمّا الفصل الرابع: فقد خُتم فيه البحث بالحديث عن **النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم** مبيّناً خصائصها ومعانيها وما يعقُبها.

وكانت كتب التفسير هي المراجع المعتمدة في هذه الرسالة.

وأنهيتُ بخاتمة فيها زبدة ما توصّلتُ إليه من نتائج لهذا البحث.

ثم ذيّلتُ هذه الرسالة بمجموعة من الفهارس الفنية مرتبة حسب منهجية البحث العلمي وأصوله.

وأتبعتُ الفهارس الفنية بملحق يشتمل على آيات الدراسة.

مقدمة

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾[1]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾[3]، أمّا بعد: فإنّ أصدق الحديث كتاب الله ﷻ، وخير الهدي هدي محمدٍ ﷺ، وشرّ الأمور محدثاتها، وكلّ محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة[4]، وكلّ ضلالةٍ في النار.

إنه ممّا لا شك فيه أنّ كلَّ مسلم تتُوق نفْسه إلى أنْ يبحث في الكتاب العزيز، وأنْ يكتشف ولو جزءاً يسيراً مِن كنوزه المخبوءة في ثنايا موضوعات القرآن الكريم المتعدِّدة.

ومن المعلوم أنّ كلّ موضوعات القرآن الكريم بالغة الأهمية، وهي كفيلةٌ بتحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة؛ وذلك أنّ القرآن الكريم إنما جاء لِيكون دستوراً ومنهاجاً للإنسان.

ومن بين هذه الموضوعات القرآنية الجليلة (**موضوع النداء**)، ولا ريب في أنّ موضوع النداء القرآني ذو أهمية بالغة، ولأهمية أسلوب النداء وجلالة شأنه فقد اهتمّ به القرآن المجيد اهتماماً واضحاً، حتى إنّ القارئ في كتاب الله ﷻ لا يكاد يمرّ على بعض الصفحات إلاّ ويجِد نوعاً من أنواع النداءات الإلهية؛ فقد نادى الله ﷻ عباده على اختلاف أصنافهم ستّ عشرة ومائتي مرّة في

[1] [آل عمران: 102]

[2] [النساء: 1]

[3] [الأحزاب: 70-71]

[4] أصل خطبة الحاجة في الصحيح، انظر، مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة)، حديث رقم(868)، (2/ 593). وينظر في تفصيل الطرق. الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ): **خطبة الحاجة**، (مكتبة المعارف، ط1- 1421هـ - 2000م)، (6-8).

آيات الذكر الحكيم[1]؛ لِيأمُرهم بما ينفعهم، وينهاهم عمّا يضرّهم؛ ذلك أنّ النداء الإلهيّ جديرٌ بأنْ يهزّ الأفئدة، ويشرَح الصدور، ويعلي الهِمَم، ويجذب الانتباه، كما قال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾[2] فأَرْعِها سَمْعَك؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ"[3].

ومن النداءات الربانية في القرآن الكريم التي قلّ البحث فيها: النداء الربّاني للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام لا سيّما النداء الربّاني للرسول محمد ﷺ، على الرغم مِن كثرة ورودها في القرآن الكريم من ناحية؛ فقد بلغ نداء الله ﷻ للأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام في القرآن الكريم ثلاثةً وأربعين نداءً مسبوقاً بحرف النداء الظاهر (يا)، موجَّهة لتسعةٍ من أنبيائه ورسُله عليهم الصلاة والسلام، وشرَفها كذلك من ناحية أخرى؛ فإنّ أشرف مَن نُودي في القرآن المجيد هم: الأنبياءُ والرسل عليهم السلام، ولقد كانت هذه النداءات الربانية للأنبياء واردةً في مقام التشريف والتكليف، ولا غرو في ذلك، فهم صناعةٌ ربّانية.

ولقد كان نصيب مِسْك الختام الرسول محمد ﷺ من تلك النداءات الربانية عظيماً؛ حيث بلغت تلك النداءاتُ له ﷺ سبعةَ عشرَ نداءً، نداءين منها ورَدا بوصف الرسالة، وآخرين وردا بأحواله ﷺ التي كان عليها وهما: النداء بالمُزَّمِّل والمدّثِّر، وكان الخطاب بوصف النبوّة أكثر وروداً في القرآن الكريم من الخطاب بوصف الرسالة وغيره؛ حيث ورد في الذكْر الحكيم في ثلاث عشرة آية، وهذا عددٌ من الآيات لا يستهان به، فمن هنا جاءت هذه الدراسة بعنوان **(النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم)**؛ وذلك لاستقراء النداءات الربانية للرسول محمد ﷺ وتحليلها.

---

[1] ذكر هذا الإحصاء محمد البداح. انظر، البداح، د. محمد بن خالد بن محمد: **آيات النداء الإلهي الموجه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1421هـ، (23).

[2] [البقرة: 104]

[3] ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي (ت: 327هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط، 3 – 1419هـ)، (1/ 196)، قال أحمد شاكر: "إسناده جيد، إلاّ أنّ فيه انقطاعاً بين معن وعوف وبين ابن مسعود". شاكر، أحمد محمد: **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، (مصر، دار الوفاء، ط2 – 1426هـ – 2005م)، (619/1).

وقد تتبّعتُ تحت إشراف فضيلة الأستاذ الدكتور **عودة عبد الله** حفظه الله ورعاه آيات النداء الإلهيّ للرسول محمد ﷺ، فكان هذا البحث الذي أرجو له القبول من المولى ﷻ، وأسأله ﷻ بأسمائه الحسنى وصفاته العُلا أنْ يجعله في ميزان حسناتي، وأنْ يحشرني والقرّاء جميعاً مع المنادَى العظيم في هذه الرسالة المباركة في جنّته، إنه سميع قريب مجيب.

الدراسات السابقة

بعد البحث والتدقيق والتحرِّي في الدراسات القرآنية، تبيّن أنّ موضوع الرسالة لم يكتب فيه بشكلٍ مستقلٍّ على شكل رسالةٍ جامعية، أو على شكل كتابٍ مطبوعٍ وفق منهجية التفسير الموضوعي، ولكني وجدتُ بعض الكتب التي لها علاقةٌ بموضوع النداء الإلهي للأنبياء والرسل عليهم السلام في القرآن الكريم بشكلٍ مباشرٍ أو غيرِ مباشر، وذلك على النحو الآتي:

1- "**نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم**"[1] للدكتور: بدر بن ناصر البدر، وهو بحث صغير، تحدّث الباحث فيه عن عِظَم منزلة الرسول محمد ﷺ عند الله ﷻ، ثُمّ تعرّض لأساليب نداءات الله ﷻ للرسول محمد ﷺ، وما يتعلّق بذلك من معانٍ، ثُمّ ختم بخصائص نداء النبيّ محمد ﷺ في القرآن الكريم، وكان هناك تشابهٌ كبيرٌ بين موضوع هذا البحث وموضوع رسالتي، إلاّ أن رسالتي تميزت بأنها كانت وفق منهجية التفسير الموضوعي للقرآن الكريم.

2- "**آيات النداء الإلهي الموجَّه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام**"[2] للدكتور: محمد بن خالد بن محمد البداح، وهو رسالة ماجستير، بيَّن فيها كاتبها معنى النداء لغةً واصطلاحاً، ثُمّ ذكر أهمية آيات النداء، ثُمّ عرَض الدلالات المتعلّقة بموضوعات الدعوة، ثُمّ ختم بالوسائل والأساليب في آيات النداء الإلهي الموجَّه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وكان هناك نوع تشابه بين موضوع هذه الرسالة وموضوع دراستي من حيث: دراسة آيات نداء الله ﷻ لأنبيائه عليهم السلام، إلاّ أنّ بحثه بعيدٌ عن منهجية التفسير الموضوعي، أمّا موضوع هذه

---

[1] البدر، د. بدر بن ناصر: **نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم**، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 61، 1421هـ).

[2] البداح: **آيات النداء**.

الرسالة فقد كان دراسةً قرآنيةً موضوعية، فضلاً عن وصفه رسالته تلك بأنها تبحث في النداء الإلهي لجميع الأنبياء والرسل عليهم السلام.

3- "**النداء في اللغة والقرآن**"[1] للدكتور: أحمد محمد فارس، تحدّث الباحث فيها عن النداء في النحو العربي، وعرَض النداء في البلاغة العربية، ثُمّ تعرَّض للنداء في القرآن الكريم، ومع أنّ موضوع هذا الكتاب يرتبط بموضوع الرسالة إلاّ أنّ هذا الارتباط كان في جانبٍ محدودٍ مِن جوانب هذا الموضوع، ويدخل تحت نطاق الفصل الرابع من فصول كتابه وهو: النداء في القرآن الكريم.

4- "**النداء في القرآن الكريم**"[2] لمبارك تريكي، تحدّث الباحث فيها عن النداء في النحو العربي، ثُمّ بيّن النداء في البلاغة العربية، ثُمّ عرَض النداء في القرآن الكريم.

5- "**مُركَّب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب**"[3] لمحمد مشري، تحدّث الباحث فيها عن روافد النداء، ثُمّ ذكَر الأحكام النحوية لعناصر النداء في لغة العرب، ثُمّ عرَض التحليل النحوي لعناصر جملة النداء في القرآن الكريم، ثُمّ بيّن مقامات الخطاب من خلال المجالات الدلالية للنداء في القرآن الكريم، فجاءت هذه الرسالة (**النداء الإلهيّ للنبيّ محمد ﷺ في القرآن الكريم**)؛ لتستكمل هذا الموضوع من جانب التفسير الموضوعي.

أهمية الدراسة

تنبع أهمية الدراسة من الأمور الآتية:

1- كونها دراسة قرآنية بحتة، جاءت خدمةً لأشرف كتاب على وجه الأرض، وللمصدر الأوّل من مصادر الدِّين الإسلامي؛ ألَا وهو القرآن الكريم.

---

[1] فارس، د. أحمد محمد: **النداء في اللغة و القرآن**، (لبنان، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1 - 1409هـ - 1989م).

[2] تريكي، مبارك: **النداء في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006 - 2007م.

[3] مشري، محمد: **مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب**، رسالة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1430هـ - 2009م.

2- وبوصفها جاءت خدمةً لأعظم شخصيّة عرَفها التاريخ.

3- بيان مكانة الرسول محمد ﷺ من خلال أسلوب النداء القرآني، وهذا أسلوبٌ جديد.

4- كونها دراسة عرَضت موضوع النداء الإلهي للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم وفق منهجية التفسير الموضوعي لأوّل مرّة، ومن ثَمّ فقد أسهمت هذه الدراسة بإضافة ما هو جديد وهامّ إلى ساحة الدراسات القرآنية الموضوعية.

أسباب اختيار الموضوع

إن اختياري لهذا الموضوع لم يكن وليد اللحظة؛ وإنما راودتني فكرته منذ إعدادي للخطب المنبرية في ذكرى (المولد النبوي) عام 1432هـ، وخاصة حين وقفت على تميّز النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم عن نداءات سائر الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ويمكن أن أجمل الأسباب التي دعت إلى اختيار هذا الموضوع في النقاط الآتية:

1- حبّي للكتابة في الدراسات القرآنية، والدخول في غمار التفاسير وأقوال المفسرين.

2- اتباع أوامر الله ﷻ في تدبُّر آيات القرآن الكريم.

3- عدم وجود دراسة علمية متخصّصة -بحسب اطلاعي- تطرّقت إلى هذا الموضوع.

4- التأكّد من وجود كثيرٍ من الفوائد العلمية في هذه الدراسة.

5- إنّ في اختيار موضوع النداء الإلهي الموجَّه للرسول محمد ﷺ مزايا كثيرة، منها:

أ- إنّ هذا الموضوع مِن أشرَف أنواع النداء؛ لأنه نداء من الله العظيم ﷻ لأشرَف خلْقه.

ب- إنّ النداء إلى الرسول محمد ﷺ نداءٌ لأمّته ما لم يُخصَّص بمخصِّص.

من هنا رغبتُ في الكتابة في هذا الموضوع؛ وذلك لإثرائه من خلال نصوص القرآن الكريم، ولتقديم مادة علمية نافعة للقارئ بإذن الله ﷻ.

مشكلة الدراسة

ستحاول الدراسة الإجابة عن هذه الأسئلة الآتية:

1- ما معنى النداء لغةً واصطلاحاً؟ وما دلالته في السياق القرآني؟

2- هل هنالك أشباه ونظائر لمصطلح النداء في القرآن الكريم؟

3- هل هناك فرق في الأهمية بين أن تكون الآية مبدوءة بالنداء وبين أن يكون النداء في أثنائها؟

4- ما السمات العامة لآيات النداء الإلهي الموجَّه للأنبياء عليهم السلام؟

5- ما أساليب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم؟

6- ما خصائص النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم؟

7- ما المعاني التي تضمّنتها النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم؟

8- ماذا يَعقُب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم؟

أهداف الدراسة

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1- لفت الأنظار إلى عُلُوّ مكانة الرسول محمد ﷺ عند الله ﷻ.

2- الاستفادة من المعاني العميقة لآيات النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ.

3- الوقوف على الوحدة الموضوعية في آيات النداء الإلهي الموجَّه للنبي محمد ﷺ.

منهجية الدراسة

لقد اتبعتُ في هذه الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك من خلال الخطوات الآتية:

1. استقراء جميع آيات النداء الإلهي الموجَّه للنبي محمد ﷺ.
2. العودة إلى معاجم اللغة العربية لمعرفة المعاني اللغوية والاصطلاحية للفظ النداء.
3. الرجوع إلى أمّات كتب التفسير، ودراسة الآيات -موضوع الدراسة-، ونقْل ما يتناسب منها مع الموضوع.
4. الرجوع إلى أمّات كتب السُّنَّة الأصليّة؛ لتخريج الأحاديث والآثار الواردة في الدراسة، وبيان درجة صحتها.
5. اتباع الأسلوب العلمي في توثيق المعلومات، وعزو الأقوال إلى قائليها.

6. كتابة الآيات الكريمة بخط المصحف الشريف (الرسم العثماني)، سواء أكانت في متن البحث أم في حواشيه.
7. عزو الآيات الكريمة إلى مواطنها من القرآن الكريم؛ بذكر اسم السورة، ورقم الآية.
8. تعريف وتوضيح المفردات والألفاظ الغريبة والغامضة من خلال الرجوع إلى معاجم اللغة الأصيلة، وكتب الغريب والمصطلحات.

حدود الدراسة

هذه الدراسة محدودة بنصوص النداءات الإلهيّة الموجَّهة للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم، والمشتملة على حرف النداء الظاهر (يا)، وظهر من خلال الاستقراء أنها بلغت سبع عشرة آية.

خطة الدراسة

تتألف هذه الدراسة من مقدمة، وأربعة فصول، وخاتمة، وهي على النحو الآتي:

الفصل الأول: النداء ودلالته في السياق القرآني، وفيه:

المبحث الأول: معنى النداء.

المبحث الثاني: النداء في السياق القرآني.

المبحث الثالث: نظائر النداء في القرآن الكريم.

الفصل الثاني: النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم، وفيه:

المبحث الأول: أهمية النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثاني: السمات العامّة لآيات النداء الإلهيّ للأنبياء عليهم السلام.

المبحث الثالث: الأنبياء الذين ناداهم الله ﷻ في القرآن الكريم.

الفصل الثالث: أساليب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ، وفيه:

المبحث الأول: النداء بصفة النبوّة.

المبحث الثاني: النداء بصفة الرسالة.

المبحث الثالث: النداء بأحواله ﷺ.

المبحث الرابع: ما قيل إنه نداءٌ للنبي محمد ﷺ.

الفصل الرابع: النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم– خصائصها– معانيها–ما يعقُبها، وفيه:

المبحث الأول: خصائص النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ.

المبحث الثاني: المعاني التي تضمّنتها النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ.

المبحث الثالث: ما يعقُب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ.

الفصل الأول

النداء ودلالته في السياق القرآني

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: معنى النداء

المبحث الثاني: النداء في السياق القرآني

المبحث الثالث: نظائر النداء في القرآن الكريم

النداء ودلالته في السياق القرآني

المبحث الأول: معنى النداء

المطلب الأول: النداء في اللغة

من خلال البحث في المعاجم اللغوية عن المعنى اللغوي للنداء، تبيّن أنّ له جذراً واحداً، وهو النون والدال والحرف المعتل، ومن ثَمّ فإنه يحتمل أن يكون من (نَدَوَ)، أو (نَدِيَ)[1].

وعرَّف ابن دريد النداء قائلاً: "النِّداء: مصدر ناديتُه منادةً ونِداءً... والنِّداء: نِداء الصَّوت، وهو بُعد مداه"[2].

وبيّن الفيّومي أنّ النداء فيه أربع لغات؛ كسْر النون وضمّها مع المدّ، وكسر النون وضمّها مع القصر، فالمدّ معه لغتان، والقصر معه لغتان[3]. فمَن ضمّه أخرجه مُخرج الدُّعاء والثُّغاء، وَمن كَسره جعله مصدر ناديتُه نِداءً[4].

وخلاصة القول: إنّ حقيقة النّداء ارتفاعُ الصَّوْتِ، وهو مشتقٌ مِن النَّدى وهُو: بُعْد الصوت[5]، والنداء في اللغة مصدر الفعل نادَى ينادي مناداةً ونداءً بمعنى: الصوت، والصراخ، والدعاء بأيّ لفظٍ كان[6].

المطلب الثاني: النداء في الاصطلاح

عرّف أبو حيّان النداء بأنه: "دعاء الشخص باسمه العلَم أَو بنوعه أَو بوصفِه"[7].

---

[1] انظر ابن فارس، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: 395): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ – 1995م)، مادة (ندَو، نَدِيَ)، (411/5).

[2] ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321): **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط1 – 1987م)، مادة (ندي)، (1061/2).

[3] انظر، الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المُقْرِي (ت نحو: 770هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، (بيروت، المكتبة العلمية)، مادة (ن د و)، (599/2).

[4] انظر، ابن دريد: **جمهرة اللغة**، (2/ 1061).

[5] انظر، ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ): **التحرير والتنوير**، (تونس، الدار التونسية للنشر، 1984هـ)، (8 / 65).

[6] انظر، تريكي، مبارك: **النداء في القرآن الكريم**، (31).

[7] أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ): **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، 1420هـ)، (5/ 28).

ويقول صاحب (الكُلِّيات): "النداء هو: إحضار الغائب، وتنبيه الحاضر، وتوجيه المعرض، وتفريغ المشغول، وتهييج الفارغ. وهو في الصناعة: تصويتك بمن تريد إقباله عليك لتخاطبه"[1]،[2].

والتعريف الذي أميل إليه هو ما أورده الزركشي، الذي عرَّف النداء بأنه: "طلب إقبال المدعُوّ على الداعي بحرف مخصوص"[3]؛ وذلك لأنّ الغاية من النداء كما يرى السيوطي أنْ يصغي مَنْ تناديه إلى أمرٍ ذي بال، ولذا غلب أنْ يَلِي النداء أمرٌ أو نهيٌ أو استفهامٌ[4].

وينقسم النداء من ناحية ذِكره إلى ملفوظ وملحوظ، كما ينقسم النداء من ناحية معناه إلى مجازيٍّ[5] وحقيقيّ، فمن أمثلة النداء الملحوظ الآيةُ القرآنية ﴿ يُوسُفُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَاۚ ﴾[6]، ومن أمثلة النداء الملفوظ الآيةُ القرآنية ﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾[7]،[8] ومن أمثلة النداء الحقيقيّ الآيةُ القرآنية ﴿ وَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ ﴾،[9] ومن أمثلة النداء المجازي الآية القرآنية ﴿ وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ ﴾[10]،[11].

---

[1] الكَفَوي، أبو البَقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت: 1094هـ): **الكُلِّيات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة)، (906).

[2] ومما يدل على هذا المعنى قول ابن مسعود ﷺ المذكور في المقدمة. انظر، ص (2) من هذه الرسالة.

[3] الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1 – 1376هـ – 1957م)، (2/ 323).

[4] انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1416هـ – 1996م)، (3/ 281).

[5] شاع إطلاق النداء على طلب الإقبال حتى صار من الحقيقة، وتفرَّع عنه إقبال الذهن مِن القريب مِنك، وهو إقبال مجازي يُقصَد به طلب الاستجابة؛ كنداء الله ﷻ. انظر، ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري (ت: 761هـ): **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار الجيل، ط5 – 1399هـ – 1979م)، (4/ 3).

[6] [يوسف: 29]

[7] [مريم: 7]

[8] انظر، ابن هشام: **أوضح المسالك**، (4/ 7)، (4/10-11).

[9] [البقرة: 35]

[10] [الأنبياء: 89]

[11] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (8 / 66).

المبحث الثاني: النداء في السياق القرآني

أولا: عرض مادة (النداء) في القرآن الكريم

وردت مادة (النداء) في القرآن الكريم على اختلاف صيغها واشتقاقاتها أربعاً وعشرين مرة من غير تكرار، وفيما يلي عرضٌ لمادة (النداء) في القرآن الكريم، وسَيُرتّب آيات كلّ مفردةٍ حسب ترتيب التلاوة، بالإضافة إلى بيان اسم السورة، وكونها مكّية أو مدنيّة، وذلك على النحو الآتي:[1]

المفردة	عدد مرات ورودها	الرقم	الشاهد	السورة	بيان المكّي والمدنيّ من السُّور
نداءً	مرتان	1	وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾	البقرة	مدنية
		2	إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾	مريم	مكية
فنادته	مرة	3	فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٣٩﴾	آل عمران	مدنية
ينادي	مرة	4	رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾	آل عمران	مدنية

[1] انظر، عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388هـ): **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة، دار الحديث، 1422هـ – 2001م)، مادة (ندى)، (786).

مناديا	مرة	5	رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣	آل عمران	مدنية
ناديتم	مرة	6	وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَعۡقِلُونَ ٥٨	المائدة	مدنية
ناداهما	مرة	7	وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢	الأعراف	مكية
نودوا	مرة	8	وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣	الأعراف	مكية
نادى	خمس عشرة مرة	9	وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤	الأعراف	مكية
		10	وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨	الأعراف	مكية
		11	وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ	الأعراف	مكية

			ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُۚ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٥٠		
		12	وَهِيَ تَجۡرِي بِهِمۡ فِي مَوۡجٖ كَٱلۡجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٤٢	هود	مكية
		13	وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ٤٥	هود	مكية
		14	إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣	مريم	مكية
		15	وَنُوحًا إِذۡ نَادَىٰ مِن قَبۡلُ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَنَجَّيۡنَٰهُ وَأَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلۡكَرۡبِ ٱلۡعَظِيمِ ٧٦	الأنبياء	مكية
		16	وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣	الأنبياء	مكية
		17	وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧	الأنبياء	مكية
		18	وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ٨٩	الأنبياء	مكية

		19	وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾	الشعراء	مكية
		20	وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٖ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾	ص	مكية
		21	وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾	الزخرف	مكية
		22	فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ﴿٤٨﴾	القلم	مكية
		23	فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾	النازعات	مكية
نادَوا	أربـــع مرات	24	وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ وَنَادَوۡاْ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَن سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡۚ لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ﴿٤٦﴾	الأعراف	مكية
		25	كَمۡ أَهۡلَكۡنَا مِن قَبۡلِهِم مِّن قَرۡنٖ فَنَادَواْ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٖ ﴿٣﴾	ص	مكية
		26	وَنَادَوۡاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقۡضِ عَلَيۡنَا رَبُّكَۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾	الزخرف	مكية
		27	فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾	القمر	مكية
نادُوا	مرة	28	وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقٗا ﴿٥٢﴾	الكهف	مكية

ناداها	مرة	29	فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴿٢٤﴾	مريم	مكية
ناديناه	مرتان	30	وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾	مريم	مكية
		31	وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾	الصافات	مكية
نُودِيَ	أربع مرات	32	فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾	طه	مكية
		33	فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٨﴾	النمل	مكية
		34	فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلۡوَادِ ٱلۡأَيۡمَنِ فِي ٱلۡبُقۡعَةِ ٱلۡمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾	القصص	مكية
		35	يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٩﴾	الجمعة	مدنية
نادينا	مرة	36	وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٖ مِّن قَبۡلِكَ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾	القصص	مكية

ينادیهم	أربع مرات	37	وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾	القصص	مكية
		38	وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٦٥﴾	القصص	مكية
		39	وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾	القصص	مكية
		40	وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ أَيۡنَ شُرَكَآءِي قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾	فصلت	مكية
نادانا	مرة	41	وَلَقَدۡ نَادَىٰنَا نُوحٞ فَلَنِعۡمَ ٱلۡمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾	الصافات	مكية
ينادَون	مرتان	42	إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنَادَوۡنَ لَمَقۡتُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ مِن مَّقۡتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ إِذۡ تُدۡعَوۡنَ إِلَى ٱلۡإِيمَٰنِ فَتَكۡفُرُونَ ﴿١٠﴾	غافر	مكية
		43	وَٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾	فصلت	مكية
التنادِ	مرة	44	وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾	غافر	مكية
ينادونك	مرة	45	إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤﴾	الحجرات	مدنية
ينادِ	مرة	46	وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ	ق	مكية

			قَرِيبٖ ﴿٤١﴾		
المناد	مرة	47	وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٤١﴾	ق	مكية
ينادونهم	مرة	48	يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ﴿١٤﴾	الحديد	مدنية
تنادوا	مرة	49	فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ﴿٢١﴾	القلم	مكية
ناداه	مرة	50	إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾	النازعات	مكية

ثانياً: الملحوظات العامّة حول ورود مادة (النداء) في القرآن الكريم:

1- عدد ورود مادة (النداء) في القرآن الكريم على اختلاف صِيَغها واشتقاقاتها خمسون مرة مع التكرار، وذلك في أربع وعشرين سورة من القرآن الكريم.

2- أكثر السّور التي ورد فيها النداء هي سور مكّيّة، حيث وردت مشتقّات هذا المصطلح في ثماني عشرة سورة مكّيّة وستّ سوَر مدنيّة، ولعل الحكمة من ذلك ما يحتويه النداء من التنبيه والإنباء عن عِظم الخطب، ولا ريب أنّ المجتمع المكّيّ أحوج إلى ذلك من المجتمع المدنيّ؛ وذلك لأنّ جُلّ الناس يومئذٍ كانوا غافلين عن الوحي والرسالة.

3- أكثر صيغ النداء وروداً في القرآن الكريم هي: (نادى)، حيث وردت خمس عشرة مرة في تسع سورٍ مكّيّة.

4- الغرض الأساس من النداء في الكتاب العزيز هو: طلب الإقبال والانتباه، والاهتمام بمضمون الخطاب.

5- يعقُب مادة (النداء) قصص أو دعاء غالباً.

المبحث الثالث: نظائر النداء في القرآن الكريم

تمهيد:

إنَّ كلّ كلمةٍ في الكتاب العزيز وُضعت في موضعها الخاصّ بها بدقّة، لذا فإنّ الألفاظ التي يُظَنُّ أنها مترادفةٌ هي في الحقيقة بينها فروقٌ دقيقةٌ في دلالاتها، وحاشا لكلام الله ﷻ أنْ يكون فيه ترادف، لكنّ إحساس قارئ القرآن الكريم يختلف في بعض الآيات الكريمة عن بعضها الآخر[1].

فمثلاً هناك بعض الألفاظ تحمِل معنى النداء، لكنّ القرآن الكريم عدَل عن لفظ النداء إلى هذه الكلمات؛ وذلك لتناسبها مع سياق الآيات بحيث لا ينوب لفظ النداء عنها؛ لأنّ المفردات التي يستعملها القرآن الكريم لا تنوب أيُّ مفردةٍ عنها، فهي الأبلغ والأفصح من المفردات التي عدَل الكتاب العزيز عن استعمالها، ويؤكد ابن عطية دقّة انتقاء الكلمات القرآنية فيقول: "والصحيح أنّ الإتيان بمثْل القرآن لم يكن قطّ في قدرة أحدٍ من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أنّ الفصيح منهم يصنع خطبةً أو قصيدةً يستفرغ فيها جهدَه، ثمّ لا يزال ينقّحها حولاً كاملاً، ثمّ تُعطَى لآخر نظيره فيأخذها بقريحةٍ جامة فيُبدِّل فيها ويُنقِّح، ثمّ لا تزال كذلك فيها مواضع للنظر والبدل، كتابُ الله لو نُزعت منه لفظة، ثم أدير لسان العرب في أنْ يوجد أحسن منها لم يوجد، ونحن تبيّن لنا البراعة في أكثره ويخفى علينا وجهها في مواضع؛ لقصورنا عن مرتبة العرب يومئذٍ في سلامة الذَّوق وجودة القريحة ومَيْز الكلام"[2].

ومن خلال تتبّعي للألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وتحمِل في طيّاتها معنى النداء، تبيّن أنها ثلاثة ألفاظ هي: الصراخ، والأذان، والدعاء، وسوف أفرد مطلباً مستقلاً عن كلّ لفظٍ منها إنْ شاء الله ﷻ.

---

[1] للمزيد حول قضية الترادف. انظر، الزركشي: **البرهان**، (4/ 78 – 87).

[2] ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: 542 هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1422هـ)، (52/1).

المطلب الأول: الصراخ

الصراخ في اللغة يأتي بمعنى: "الصوت الشديد"[1]، "يقال: صرخ فلان يصرُخ صُراخاً: إذا استغاث فقال: واغوثاه، واصرختاه"[2].

وقد ورد ذكْر (الصراخ) خمس مراتٍ في أربعة سور[3] من القرآن الكريم[4]، وكلّها مكّيّة.

ولقد جاء الصراخ بمعنى النداء في عدّة شواهد قرآنية، ومن هذه الشواهد قوله ﷻ:﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ أَوَلَمۡ نُعَمِّرۡكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ٣٧ ﴾[5]، وقوله: ﴿ وَهُمۡ يَصۡطَرِخُونَ فِيهَا ﴾أيْ: "ينادونَ فيها، يجأرون إلى الله ﷻ بأصواتهم: ﴿ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ ﴾"[6]. وقال مقاتل: "يعني يستغيثون فيها، والاستغاثة: أنّهم ينادون فيها: (ربَّنا أَخْرِجنا نعملْ صالحاً غيرَ الذي كُنَّا نعملُ من الشرك)" [7].

ولكن ثَمّ فرق بين النداء والصراخ، فإنّ الصراخ يتميز بالشِّدّة قي الصوت، واختصاصه بحالة الفزع، يقول ابن منظور: "الصَّرخة: الصيحة الشديدة عند الفزع أو المصيبة. وقيل: (الصُّراخ) الصوت الشديد ما كان؛ صرخ يصرُخ صراخاً. ومن أمثالهم: (كانت كصرخة الحبلى)؛ للأمر يفجؤك"[8].

---

[1] ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: 711): **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط1)، مادة (صرخ)، (3/ 33).

[2] الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 2001م)، (7/ 63).

[3] السُّور هي: [إبراهيم: 22]، [القصص: 18]، [فاطر: 37]، [يس: 43].

[4] تصريفات لفظة (الصراخ) في القرآن الكريم هي: يستصرخه، يصطرخون، صريخ، بمصرخكم، بمصرخيّ. انظر، مادة (صدق) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (500).

[5] [فاطر: 37]

[6] ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط 2 – 1420هـ – 1999م)، (6/ 552).

[7] البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت: 150هـ): **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت، دار إحياء التراث، ط1 – 1423هـ)، (3/ 559)، وانظر، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي)، (7/ 154).

[8] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (صرخ)، (3/ 33).

المطلب الثاني: الأذان

"الأذان في اللغة: مطلَق الإعلان"[1]، وهو نداءٌ يُقصد به إعلام المنادَى بما يراد منه[2].

والأذان في الشرع: "الإعلام بوقت الصلاة بألفاظ معلومة مأثورة"[3].

وقد تكرَّر لفظ (الأذان) في القرآن الكريم بمعنى النداء خمس مرات،[4] ومن الشواهد القرآنية التي ورد فيها لفظ (الأذان) بمعنى النداء قوله ﷻ: ﴿ وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[5]،[6] والمعنى: نادى منادٍ وسطهم نداءً يُسمِع الفريقين[7].

ومن الشواهد القرآنية أيضاً قوله ﷻ: ﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾[8]، "أَي: نادِ في النَّاس داعياً لهم إلى الحجّ إلى هذا البيت الذي أَمرْناك ببنائه"[9].

المطلب الثالث: الدعاء

قال ابن منظور: "ودعا الرجل دعْواً ودعاءً: ناداه، والاسم الدعوة، ودعوتُ فلاناً أيْ: صحتُ به واستدعيتُه"[10].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (أذن)، (13/ 9).

[2] انظر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت:597): **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، (الرياض، دار الوطن، 1418هـ – 1997م)، (87).

[3] الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ): **التعريفات**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1403هـ – 1983م)، (30/1).

[4] تصريفات لفظة (الأذان) في القرآن الكريم هي: أَذَّن، أَذِّن، مُؤذِّن. انظر، مادة (أذن) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (31–32).

[5] [الأعراف: 44]

[6] انظر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597): **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1 – 1404هـ – 1984م)، (87–88).

[7] انظر، السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت: 373هـ): **بحر العلوم**، (بلا معلومات نشر)، (1/ 517)، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: 1250هـ): **فتح القدير**، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ط1 – 1414هـ)، (2/ 207).

[8] [الحج: 27]

[9] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (5/ 414).

[10] ابن منظور: **لسان العرب**، (دعا)، (257/14).

ويظهر أنّ الدعاء لغةً معناه: الطلب، ويؤكّد ذلك الجرجاني فيعرّفه بقوله: "الدعوى: مشتقّة من الدعاء، وهو الطلب"[1].

أمّا الدعاء في الشرع فقد عرّفه الخطّابي بأنه "استدعاء العبد ربّه ﷻ العناية، واستمداده إيّاه المعونة"[2].

وقد تكرّر ذكْر كلمة (الدعاء) ومشتقّاتها في القرآن الكريم على اختلاف صيَغها واشتقاقاتها مئتين وعشرة مرة[3].

ووردت كلمة (الدعاء) في القرآن الكريم على سبعة أوجه[4]، من تلك المعاني النداء، ومن النصوص القرآنية التي ورد فيها لفظ (الدعاء) بمعنى النداء قوله ﷻ:﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾[5]، "أي: واذكُرْ أيُّها النبيّ وقتَ أنْ نادى نوحٌ ربَّه بأنْ دعا على قومه لمّا كذّبوه: فدعا ربّه أني مغلوبٌ فانتصِر"[6].

ومن النصوص القرآنية أيضاً قوله ﷻ: ﴿ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ﴾[7]، يقول الزحيلي: "يوم يدْع الدّاعِ: يوم ينادي إسرافيل"[8].

وهناك علاقة وثيقة بين الدعاء والنداء، لكنَّ ثَمّة فرقاً بينهما، وممّا يؤكد ذلك وجود العطف بينهما في القرآن الكريم، وذلك في قوله ﷻ:﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ ﴾[9]، لذا لا يصحّ أنْ يكونا بمعنى واحِد؛ لأنّ التّوكيد اللّفظيّ لا يُعطَف[10].

---

[1] الجرجاني: **التعريفات**، (104).

[2] الخَطّابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم البستي (ت: 388هـ): **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، (دار الثقافة العربية، ط1 – 1404 هـ – 1984م)، (1/ 4).

[3] انظر، مادة (دعو) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (316-320).

[4] انظر، ابن الجوزي: **نزهة الأعين النواظر**، (293).

[5] [القمر:10]

[6] الزحيلي، أ. د. وهبة بن مصطفى: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2 – 1418هـ)، (17/ 94).

[7] [القمر : 6]

[8] الزحيلي: **التفسير المنير**، (27/ 146).

[9] [البقرة: 171]

[10] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (2/ 113).

وعليه فإنّ ما ذكره صاحب (المفردات) بقوله: "وقد يُستعمل كلّ واحد منهما موضع الآخر"[1]، ثمّ استشهد بالآية السابقة كلام غير دقيق.

والظّاهر -كما يرى صاحب (التحرير والتنوير)- أَنّ المراد بالدعاء والنداء في هذه الآية الكريمة: "نوعان من الأَصوات التي تفهمها الغنم، فالدُّعاء: ما يُخاطَب به الغنم مِنَ الأَصوات الدّالّة على الزّجر وهي أَسماء الأصوات، والنداء: رفع الصّوت عليها؛ لِتَجتمع إلى رعاتها، ... فإِنَّ حقيقة النّداء: رفع الصّوت لإسماع الكلام، أَو المراد به هنا: نداء الرِّعاء بعضهم بعضًا؛ للتّعاون على ذود الغنم"[2].

ومن الفروق الدقيقة بين الدعاء والنداء ما يأتي:

1- إنّ الدعاء: طلب الفعل، والنداء: إجابة الصوت، وهذا ما ذكره أبو حيّان[3].

2- إنّ النداء قد يقال إذا قيل (يا) أو (أيا) ونحوه مِن غير أنْ يُضَمّ إليه الاسم، والدعاء لا يكاد يقال إلاّ إذا كان معه الاسم نحو قولنا: يا فلان، وهو ما ذهب إليه الراغب[4].

3- وقيل: إنّ الدعاء ما يُسمع، والنداء قد يُسمع وقد لا يُسمع[5].

4- إنّ الدعاء للقريب والنداء للبعيد[6]. ولذلك قيل للأذان بالصلاة: نداء؛ لأنه للأباعد[7]، وهذا قول القرطبي والآلوسي.

5- وقيل: "الدعاء يكون برفْع الصوت وخفْضه، يقال: دعوتُه من بعيد، ودعوتُ اللهَ في نفْسي، ولا يقال: ناديته في نفسي"[8].

---

[1] الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب (ت: 502هـ): **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، ط1- 1412هـ)، (دعا)، (315).

[2] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (2/ 113).

[3] انظر، أبو حيان: **البحر المحيط** ، (658/1).

[4] انظر، الأصفهاني: **المفردات**، (دعا)، (315).

[5] انظر، الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1415هـ)، (41/2).

[6] انظر، **المرجع السابق**، (41/2).

[7] انظر، القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2 - 1384هـ - 1964م)، (2 /214).

[8] العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: 395هـ): **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (مصر، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع)، (38).

والذي أراه راجحاً ما ذهب إليه ابن عاشور بقوله: أنّ النِّداء يُطلَق غالباً على "دعاء أَحد؛ لِيُقبل بذاته أَو بفهمه لسماع كلام، ولو لم يكن برفع صوت"[1]، ويدلّ عليه قولهﷻ: ﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ٣ ﴾[2]، "ويجوز أَنْ يكون مستعملًا في الكلام بصوت مرتفع كقوله ﷻ: ﴿ كَمَثَلِ ٱلَّذِي يَنۡعِقُ بِمَا لَا يَسۡمَعُ إِلَّا دُعَآءٗ وَنِدَآءٗۚ ﴾[3]"[4].

[1] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (8/ 134).

[2] [مريم: 3]

[3] [البقرة: 171]

[4] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (8/ 66).

الفصل الثاني

النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: أهمية النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام

المبحث الثاني: السمات العامة لآيات النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام

المبحث الثالث: الأنبياء الذين ناداهم الله ﷻ في القرآن الكريم

النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام في القرآن الكريم

تمهيد:

للنداءات الربّانية في القرآن الكريم أهميّة بالغة، تستمدّها من كتاب الله ﷻ الذي أمَر ﷻ كلَّ حيّ بتدبّره، فقال ﷻ:﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1]، وآيات النداء الإلهيّ جزءٌ من الكتاب المجيد الواجب تدبّرُه.

ومن المعلوم أنّ آيات النداء أمرها عظيم، وشأنها جليل، وقد أكَّد ذلك عبد الله بن مسعود ﷺ بقوله: "إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[2] فأرْعِها سَمْعَك؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ"[3].

وقد قسّمتُ هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث، جاء المبحث الأول حول أهميّة النداء الإلهيّ للأنبياء عليهم السلام، أمّا المبحث الثاني فدار حول السمات العامّة لآيات النداء الإلهيّ للأنبياء عليهم السلام، وختمت هذا الفصل بالحديث عن الأنبياء الذين ناداهم الله ﷻ في القرآن الكريم.

---

[1] [النساء: 82]

[2] [البقرة: 104]

[3] سبق تخريجه في المقدمة. انظر، ص(2).

المبحث الأول: أهمية النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام

تمهيد:

تعدّدت صور النداء الإلهيّ للأنبياء في الكتاب العزيز، وذلك على النحو الآتي:

1- نداء الأنبياء بأعيانهم: ومن أمثلة ذلك قول الله ﷻ: ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾[1].

2- نداء الأنبياء بصفاتهم: وهذا لم يقع لأحدٍ من الرّسل إلاّ للنبيّ محمد ﷺ، ومن أمثلة ذلك قول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[2].

3- نداء الرسل بلفظ الجمع: فقد نُوديَ الرسلُ عليهم السلام بذلك مرّة واحدة، وذلك في قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[3].

ويمكن إجمال أهمية النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام عامّة وللنبي محمد ﷺ خاصّة فيما يأتي[4]:

أولاً: ربّانية المصدر:

يتميز النداء الإلهي في القرآن الكريم بأنه مِن خالق البشر، وإنّ الناظر المتأمّل في الكتاب العزيز يرى بجلاءٍ ووضوحٍ أنّ نداء البشر لربّهم لا يكون مصدَّراً بحرف نداء غالباً، بل يكون حرف النداء مَنوِيّاً ومقدَّراً، ومنه قوله ﷻ على لسان خليله إبراهيم ﷺ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾[5]،[6] بل من اللافت إلى الانتباه نداء نوح ﷺ لابنه قائلاً: ﴿ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾[7]، فهنا استَخدم نوح ﷺ أداة النداء، ولكنْ في ندائه لربّه ﷻ حذَف حرف النداء، فقال ﷻ على لسان نبيّه نوح ﷺ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾[8].

---

[1] [طه: 117]

[2] [المائدة: 67]

[3] [المؤمنون: 51]

[4] انظر، البداح: **آيات النداء**، (43-49).

[5] [البقرة: 126]

[6] انظر، السيوطي: **الإتقان**، (170/2).

[7] [هود: 42]

[8] [هود: 45]

وقد تبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية التي ورد فيها نداءٌ من العباد لربّهم أنّ أداة النداء (يا) حُذفت من نداء (ربِّ) في معظم المواضع[1].

وللسّائل أنْ يسأل: لماذا كثُر نداء البشر للربّ ﷻ دون أداة نداءٍ غالباً؟

لعلّ الحكمة الأبرز لذلك هي: الدلالة على التعظيم والتنزيه؛ لأنّ النداء يتشرّب معنى الأمر؛ لأنك إذا قلتَ: (يا زيد)، فمعناه: أدعوك يا زيد، فحُذفت (يا) من نداء الربّ؛ ليزولَ معنى الأمر، ويتمحّص التعظيم والإجلال.

ويُشعر حذف حرف النداء (يا) من نداء الخلْق لخالقهم أيضاً أنّ كلّ الوسائط بين العبد وربّه ملغاة؛ وذلك حفاظاً على جناب التوحيد، حتى ولو كانت تلك الواسطة حرفاً، ونظير ذلك عدم إثبات الواسطة (قل) في قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾[2]، على خلاف العادة في أسئلة القرآن الكريم[3].

والذي يظهر بعد استقراء الآيات التي ورد فيها نداءٌ من العباد لربّهم أنه لم يتصدَّرْها حرف النداء (يا) إلاّ في موضعين كانا على سبيل الحكاية، وهما:

الأوّل: قوله ﷻ: ﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُواْ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ ﴾[4].

والثاني: قوله ﷻ: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾[5].

ومِن هنا يتبيّن خطأ مَن قال: "وعلى كثرة ما نُودي الرّبّ في القرآن لم أعثر عليه مسبوقاً بحرف النداء إلاّ في تلك الآية الكريمة[6]"،[7] والصواب أنهما موضعان كما بيَّنتُ آنفاً.

---

[1] انظر، مادة (ر ب ب) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (352-361).

[2] [البقرة: 186]

[3] حيث أثبت القرآن الكريم الواسطة (قل) في أربعة عشر موضعاً من آيات السؤال بلفظ ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ ﴾. انظر، مادة (س أ ل) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (414).

[4] [الفرقان: 30]

[5] [الزخرف: 88]

[6] يَقصِد آية [الزخرف: 88].

[7] وهو: أحمد البدوي. انظر، البدوي، أحمد عبد الله البيلي (ت: 1384هـ): **من بلاغة القرآن**، (القاهرة، نهضة مصر، بلا طبعة- 2005)، (130).

وأمّا قوله: ﴿ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ ﴾، فأثبتَ حرف النداء هنا؛ لأنه دعا ربَّه من مرتبة حضوره معهم في مقام الملِك؛ لقوله: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾، وأسقطَ حرف ضميره؛ لمَغيبه عن ذاته في توجُّهه في مقام الملكوت ورتبة إحسانه في إسلامه[1].

ولئن أرجعنا البصر كرّةً أخرى في ذينك الموضعين نجد أنهما قد ورَدا في مقام الشكوى، حيث شكا رسولنا محمدٌ ﷺ قومَه حين كذّبوه لربّه يوم القيامة بقوله: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ۝٣٠ ﴾[2]،[3] وكذلك شكا ثانيةً تخلُّف قومه عن الإيمان بقوله: ﴿ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوۡمٞ لَّا يُؤۡمِنُونَ ۝٨٨ ﴾[4].[5]

وأرى أنّ الرسول محمداً ﷺ استخدم حرف النداء في هذين الموضعين؛ تعبيراً عن حالةٍ نفسيةٍ صعبةٍ ألمّت به، كأنما أراد أنْ يَرفع صوته؛ زيادةً في ضراعته إلى ربّه ﷻ، بخلاف سائر النداءات القرآنية فإنها وردت في مقام الطلب وليس الشكاية.

وأرى أيضاً أنه قد نُودي بأداة النداء (يا) القريب في الموضعين السابقين، على الرغم مِن أنّ أصل النداء بها للبعيد، ومما يؤكد ذلك قوله ﷻ: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ﴾[6].

ويتضح من خلال ما سبق، أنّ النداء من الله ﷻ لعباده كان بأداة نداء واحدة، وهي: (يا) دون غيرها من الحروف[7]؛ وذلك لأنّ النداء من الله ﷻ لعبيده نداءٌ مِن أعلى مَن في الوجود إلى خلْقه، لذلك فهو جديرٌ بأنْ يكون بأعلى الصِّيَغ؛ لِبُعد ما بين الكون وخالقه في المنزلة، فضلاً عن وصْف هذا النداء من الخالق، وهذا يقتضي أعلَى العُلوّ وأبعده[8]، ويوضِّح القاسمي عِلّة ذلك بقوله:

---

[1] انظر، الزركشي: **البرهان**، (1/405).

[2] [الفرقان: 30]

[3] انظر، ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت:597): **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 – 1422هـ)، (3/ 319).

[4] [الزخرف: 88]

[5] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (4/ 86).

[6] [البقرة: 186]

[7] وممّن رجّح ذلك ابن هشام حيث قال: "أنه ليس في التنزيل نداء بغير (يا)". ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري (ت: 761هـ): **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، (دمشق، دار الفكر، ط6 – 1985)، (18).

[8] انظر، أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى: **زهرة التفاسير**، (دار الفكر العربي)، (1/ 154– 155).

"فأنت ترى أنّ نداء الله للعباد لم يأت في القرآن في الغالب إلاّ ب(يا) المشيرة إلى بُعد المنادي؛ لأنّ صاحب النداء منزَّهٌ عن مُداناة العباد، موصوفٌ بالتعالي عنهم والاستغناء"[1].

وقد ظهر من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ النداء من البشر لربّهم صُدِّر بقولهم: (اللهمّ)، (ربِّ)، (ربّنا) بلا أداة نداءٍ غالباً، وتبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية أيضاً أنّ لفظ الجلالة (الله) لم يُستخدَم منادَى في القرآن الكريم كلّه، واستُغني عنه حينئذٍ بكلمة (اللهمّ)، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾[2].

ويبدو أنّه يُلمح في كلمة (اللهمّ) رونقٌ لا نَشعُر به في النداء بصيغة (يا الله)، ولذلك استخدمها القرآن الكريم.

ثانياً: أشرف أنواع النداء؛ وذلك لِعُلوّ المنادي والمنادَى، وظهر هذا التشريف جليّاً في نداء الله ﷻ لحبيبه المصطفى ﷺ بوصفه.

وسيأتي مزيد بيان وتفصيل في هذا الموضوع في هذا الفصل بمشيئة الله[3].

ثالثاً: فيه تكريمٌ لأُمم الأنبياء ذلكم؛ لأنّ نداء الله ﷻ للنبيّ تكريمٌ له ولأمّته أيضاً.

رابعاً: الأصل أنه للعموم ما لم يُخصَّص، ومن الأمثلة على ذلك قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾[4]،[5] فإنّ "الخطابَ للنبيّ ﷺ، وتدخُل فيه أمّتُه مِن بعده"[6].

خامساً: تجدّد حاجة البشر إليه:

فإنّ حاجةَ البشريّة إلى الموضوعات التي احتوتْها النداءاتُ الربانيّةُ مستمرّةٌ في كلّ عصر ومِصْر؛ ذلك أنّ جُلَّ تلك الموضوعات ذاتُ صلةٍ بالعقائد والشريعة والأخلاق، وليس أدلّ على ذلك من خلود هذا الكتاب العزيز. وممّا يؤكِّد حاجة البشرية إلى تلك النداءات الربانيّة أنّ الأصل في الخطاب فيها العموم.

---

[1] القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق (ت: 1332هـ): **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1- 1418هـ)، (1/ 88).

[2] [الزمر: 46]

[3] انظر ص (34-35) من هذه الرسالة.

[4] [التوبة: 73]

[5] انظر، البداح: **آيات النداء**، (25-26) .

[6] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (8/ 204).

سادساً: ترتّب عملٍ عليه؛ وذلك لأنّ النداء فيه الأمر بالإقبال لِتلقّي الأمر أو النهي، والنداءُ يَفتقر لِلحدث الذي بعده، وقد يكون تبعاً لأمرٍ معيّن.

المبحث الثاني: السمات العامّة لآيات النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام

من العلامات البارزة والمميِّزة لجميع آيات النداء عن غيرها سواء أكانت للنبي محمد ﷺ أم لغيره من الأنبياء عليهم السلام ما يأتي[1]:

أولاً: حصر النداء في آيات النداء بحرف النداء (يا):

حروف النداء ثمانية: الهمزة لنداء ما هو قريب، و(أيْ) مقصورتين، وممدودتين، نحو: أزيدُ، وآزيدُ، وأي زيْدُ، وآي زَيْدُ، بالمدّ والقصر وهذه أربعة، وتستعمل لنداء ما هو قريب وقيل للبعيد، و(يا): أمّ الباب وهي التي تكون أصلاً في النداء، ولذلك تدخل على كلّ منادَى، و(أَيا) و(هَيا): لنداء البعيد، و(وا): يستعمل في أسلوب خاص للنداء هو أسلوب الندبة[2].

ومن خلال استقراء آيات النداء القرآني تبين أنه لم يَستخدم التعبير القرآني حرفاً للنداء سوى حرف (يا) على القول الراجح، ولذلك كان القول: بأنه إذا كان حرف النداء محذوفاً لا يصحّ تقدير أيِّ حرفٍ سوى (يا)، ولعلّ السرّ في إيثار القرآن الكريم لحرف النداء (يا) دون غيره من حروف النداء، يكمن في أنّ هذه الأداة هي الوسيلة الطبيعية في النداء؛ إذ هي أكثرها استعمالاً؛ لأنها أَعَمّ حروف النداء، إذ ينادَى بها القريب والبعيد والمستغاث والمندوب، ناهيك عن وصْفها أخفّ أحرف النداء في النطق؛ لأنها تبدو في خفّة حركتها كأنها صوتٌ واحد؛ لانطلاق اللِّسان بها دون أنْ يستأنف عملاً[3].

وتختصّ (يا) دون سواها بأنها وحدها التي يجوز حذفها مع المنادَى عندما لا يكون هناك مانعٌ من الحذف[4]، وهي دون سواها تدخُل على اسم الجلالة فيقال: (يا الله)؛ لأنّ نداء اسم الجلالة

---

[1] انظر، البداح: **آيات النداء**، (50-52).

[2] انظر، ابن هشام: **أوضح المسالك**، (4/ 4- 5)، وعيد، محمد: **النحو المصفى**، مكتبة الشباب، (496- 498).

[3] انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، (1/ 151)، والمطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت: 1429هـ): **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، (مكتبة وهبة، ط1 - 1413هـ - 1992م)، (2/ 8).

[4] انظر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538): **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: د. علي بو ملحم، (بيروت، مكتبة الهلال، ط1 - 1993م)، (68/1)، وفارس: **النداء**، (83).

على خلاف الأصل لوجود (ال) فيه، فلو لم تُذكَر أداة النداء لمَا انتهى المعنى إلى النداء، ولا ينادَى ما فيه الألف واللام إلاّ (الله) وحده؛ لأنهما لا تفارِقانه كما لا تفارِقان النجم مع أنهما خلَفٌ عن همزة (إله)[1]،[2].

وقد ينادَى بحرف (يا) القريب على الرغم مِن أنّ أصل النداء بها أنْ تكون للبعيد حقيقةً أو حُكماً[3]؛ وذلك لنُكَتٍ، منها[4]:

1- إظهار الحرص في وقوعه على إقبال المَدعُوّ نحو ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأَمِنِينَ ﴾[5].

2- كون الخطاب المتلُوّ معتنًى به نحو ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾[6].

ثانياً: أنه يلحَق آيات النداء أمرٌ أو نهيٌ غالباً:

وهذا شأن أسلوب النداء، فمن خلال استقراء الآيات القرآنية التي ورد فيها نداءٌ -سواء نداء الله ﷻ للأنبياء عليهم السلام أم لغيرهم- نجِد أنّه يَليه في الغالب إمّا أمرٌ أو نهيٌ أو استفهام؛ لأنّ النداء يُوقظ النفس ويلفِت الذِّهن ويُنبِّه المشاعر، ولهذا أكثرَ ﷻ في الكتاب العزيز مِن مصاحبة النداء لهذه الأساليب، فمثال الأمر قوله ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ

---

[1] أي: أنّهم حذفوا الهمزة تخفيفاً فعُوِّضَ منها (أل) التّعريف؛ فاجتمع لامان؛ فأدغمت الأولى في الثّانية.
وقيل: أصل (إلَهٍ) (وِلَاهٌ) فقلبت الواو همزةً لانكسارها؛ فقيل (إلَـهٌ)، ثمّ أُدخلت عليه الألف واللاَّم؛ فقالوا: (الإلَـهُ) -بمدّ اللام- فنقلوا حركة الهمزة إلى اللاَّم، ثمَّ حذفت الهمزة وسُكِّنت اللاّمُ للإدغام، فقالوا: الله. انظر، الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج: **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، (المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط1- 1422هـ - 2002م)، (1/ 304).

[2] انظر، الزمخشري: **المفصل**، (66/1)، وفارس: **النداء**، (83).

[3] يقصِد أنّ (يا) تستعمل في مناداة مَن سهَا وغفل وإنْ قرُب؛ تنزيلاً له منزلة مَن بَعُد. انظر، الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، تخريج: الإمام الزيلعي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3 - 1407هـ)، (1/ 89).

[4] انظر، السيوطي: **الإتقان**، (3/ 282).

[5] [القصص: 31]

[6] [البقرة: 21]

ﭐلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾[1]، ومثـال النهـي قولـه ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾[2]، ومثـال الاسـتفهام قولـه ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾﴾[3]، ولهذا فإنّ النداء لا يكاد ينفكّ عن الأمر أو ما جرى مجراه من الطلب والنهي، وعليه لا يكاد يوجد في القرآن الكريم نداءٌ ينفكّ عن أمرٍ أو نهي، ولهذا لمّا جاء بعده الخبر في قوله ﷻ:﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ﴾[4] شفعه الأمر بعده في قوله:فَٱسۡتَمِعُواْ ﴿ لَهُۥٓ ﴾، وربّما تقدّمت جملةُ الأمر جملةَ النداء كما في قوله ﷻ: ﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾﴾[5]،[6].

ثالثاً: الطول في موضوع آيات النداء:

فإنّ موضوع النداء يتعدّى آية النداء إلى الآيات التي بعدها، نحو قوله ﷻ:﴿ وَنَادَىٰ نُوحٞ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبۡنِي مِنۡ أَهۡلِي وَإِنَّ وَعۡدَكَ ٱلۡحَقُّ وَأَنتَ أَحۡكَمُ ٱلۡحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾﴾[7].

ويظهر من خلال استقراء موضوعات النداءات الإلهية أنها متفاوتة في الطول والقِصر، لكن يغلب عليها الطول، ولعلّ الحكمة من ذلك أنّ موضوعاتها تتطلّب تفصيلاً، ومن ذلك دعاء الأنبياء عليهم السلام لربّهم كما يظهر من النداء السابق.

---

[1] [التوبة: 119]

[2] [المنافقون: 9]

[3] [الجمعة: 10]

[4] [الحج: 73]

[5] [النور: 31]

[6] انظر، الزركشي: **البرهان**، (2/323-324).

[7] [هود: 45-47]

رابعاً: كون آيات النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام تذكُر جلّ أسمائهم مجرَّدة:

فمن خلال استقراء نداءات الله ﷻ لرسله عليهم السلام ظهر أنّ الله ﷻ خاطب جميع رسُله عليهم السلام بأسمائهم الأعلام، إلاّ الرسول محمداً ﷺ فإنه خاطبه بكرم الرسالة وشرف النبوّة دون اسمه؛ تكريماً وتشريفاً له، قال سلطان العلماء[1] حول هذا المعنى: "وهذه الخَصيصة لم تثبُت لغيره، بل ثبَت أنّ كُلًّا منهم نودِي باسمه"[2]،[3].

المبحث الثالث: الأنبياء الذين ناداهم الله ﷻ في القرآن الكريم

تمهيد:

إنّ أشرف مَن نُودي في القرآن الكريم هم: الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، بوصفهم وسائط الحقّ إلى عباده، وأدلاّءَه على الخير الذي عجز العقل البشري عن إدراكه، فإذنْ شخصيّة النبيّ صناعةٌ ربّانيةٌ لا تقبَل التأهيل التربوي، وعليه فلم تكن تلك النداءات الربّانية للمرسَلين تنبيهاً لهم عن غفلةٍ في القلب، وإنما كانت جُلّ تلك النداءات واردةً في سياق التشريف والتكريم[4]، لذلك فإنّ من أعظم صفات الأنبياء عليهم السلام كونهم مُخاطَبين من اللّه ﷻ.

ومن الأمثلة على دلالة النداء الإلهيّ للرسل عليهم السلام على تشريفهم النداء القرآنيّ للنبيّ محمد ﷺ بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَ﴾[5]، ويؤكّد ذلك الإمام ابن كثير بقوله: "خُوطب النبيّ ﷺ أوّلاً تشريفاً وتكريماً"[6].

---

[1] هو: عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم السُّلَمِي الدمشقي، شيخ الإسلام عز الدين أبو محمد الشافعي خطيب دمشق، وقاضي القضاة بالديار المصرية، مات سنة ست وثمانين وستمائة، ومولده سنة أربع وتسعين وخمسمائة بحَرّان. انظر، الفاسي، محمد بن أحمد بن علي أبو الطيب المكي الحسني (ت: 832هـ): **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1- 1410هـ- 1990م)، (2/ 128- 129).

[2] العز: عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمِي الدِّمشقي: **مُنْيَةُ السُول في تفضيلِ الرَّسُول** ﷺ، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، (لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1 - 1401هـ -1981م)، (21).

[3] للمزيد انظر، الفصل الثالث من هذه الرسالة، ص(59).

[4] انظر، مشري: **مركب النداء**، (450).

[5] [الطلاق: 1]

[6] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 142).

والنداء عندما يصدُر من الله ﷻ للمؤمنين يفيد التشريف؛ وذلك لأنّ أحبّ نداءٍ إلى الإنسان أنْ تناديه بما يدلّ على منزلته وسُموّه، ومن أمثلة ذلك ما يأتي:

1- النداء الإلهي للمؤمنين بخطاب الذين آمنوا[1]،[2].

2- النداء الإلهي للأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بأسمائهم.

3- النداء الإلهي للنبيّ محمد ﷺ بغير اسمه.

4- النداء الإلهي بصيغة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ﴾.

وتبيّن مِن خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ الله ﷻ نادى تسعةً من أنبيائه الكرام ورسُله العظام عليهم الصلاة والسلام بأداة النداء الظاهرة (يا) في كتابه العزيز، وذلك في واحدة وأربعين آيةً شريفة، وذلك على النحو الآتي:

النبيّ	عدد آيات النداء الإلهيّ له
1-آدم عليه السلام	ثلاث مرات
2-نوح عليه السلام	مرتان
3-إبراهيم عليه السلام	مرتان
4-موسى عليه السلام	إحدى عشرة مرة
5-داود عليه السلام	مرة واحدة
6-زكريا عليه السلام	مرة واحدة
7-يحيى عليه السلام	مرة واحدة
8-عيسى عليه السلام	ثلاث مرات
9-محمد ﷺ	سبع عشرة مرة

وآثرتُ إفراد كلّ نبيٍّ بمطلبٍ مستقلّ ما عدا النبيّ محمداً ﷺ، فقد خصّصتُ له فصلاً مستقلّاً؛ وذلك لأنه لُبّ موضوع الرسالة.

---

[1] وتبيّن من خلال التتبّع لآيات النداء أنّ النداء بعنوان الإيمان هو أكثر الألفاظ منادةً في آيات القرآن الكريم بعد النداء بلفظ الرّبّ، فقد بلغت نداءات الله ﷻ للمؤمنين تسعين نداءً، تسعة وثمانين نداءً منها بصيغة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾، ونداءً واحداً بصيغة ﴿ أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾ [النور: 31].

[2] وقد سمّى الزركشيّ هذا النداء ب(خطاب المدح). انظر، الزركشي: **البرهان،** (2/ 228).

المطلب الأول: النداء الإلهيّ للنبي آدم ﷺ

تبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ ربّ العالمين ﷻ قد نادى أبانا آدم ﷺ في الكتاب العزيز كلّه بأداة النداء الظاهرة (يا) ثلاث مرات، فكان النداء الأوّل والثاني في سورة البقرة[1]، والثالث في سورة طه[2]، وجاء النداء بلفظه دون أداته لآدم ﷺ مرةً واحدةً في سورة الأعراف، وهو قوله ﷻ: ﴿ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ ﴾[3]، وذلك على النحو الآتي:

(1) خطاب التشريف بالتعليم: وذلك في قوله ﷻ: ﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكُمۡ إِنِّيٓ أَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَأَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[4]. فقد تَشرّف آدم ﷺ بأوّل النداءات الربّانية عند بدء الخليقة، حيث أُمر بأشياء ونُهي عن أخرى، وقد أُمِر أَبُو البشر من خلال هذا النداء الربّاني أنْ يُعلّمَ الملائكة عليهم السلام أسماءً كان له التبجيل في معرفتها[5].

(2) خطاب الكرامة:[6] وذلك في قوله ﷻ: ﴿وَقُلۡنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ وَكُلَا مِنۡهَا رَغَدًا حَيۡثُ شِئۡتُمَا وَلَا تَقۡرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ ﴾[7]. تستمرّ الآيات الكريمة في بيان أنواع التكريم الإلهي للإنسان، وهذا التكريم هنا هو المقام في الجنّة في بدء الخليقة، ولكن اقتضت الحكمة الإلهية إقامته في الأرض، وتكليفه القيام برسالة مهمّة هي تعمير الكون، وإظهار مزيّة الإنسان في مجاهدة الشيطان وأهوائه[8].

---

[1] [البقرة: 33]، [البقرة: 35].

[2] [طه: 117]

[3] [الأعراف: 22]

[4] [البقرة: 33]

[5] انظر، مشري: **مركب النداء**، (450).

[6] هذا ما أطلقه عليه الزركشي. انظر، الزركشي: **البرهان**، (2/ 231).

[7] [البقرة: 35]

[8] انظر، الزحيلي: **التفسير المنير**، (1/ 138).

(3) خطـــاب التحـــذير: وذلــك فــي قولـــه ﷻ: ﴿ فَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ ﴾[1]. فلقد خاطب ربّ العزة آدم عليه السلام في هذا النداء العلويّ الجليل بقوله: ﴿ يَـٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَـٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾ أي: حوّاء[2].

وهذا النداء الكريم للتعليم والتحذير[3]؛ فقد حذّر الله ﷻ آدم وحواء من إبليس، وأكّد هذه العداوة بـ (إنَّ) المفيدة للتوكيد، وبالجملة الاسمية، وبالإشارة؛ لأنّ الإشارة متّجهةٌ نحو ما بدا منه وهو كلامه وامتناعه عن السجود، فالإشارة تشير إلى سبب العداوة، وإذا ثبتت العداوة فلا بدّ أنْ يتوقّع آدم عليه السلام نتائجها[4].

المطلب الثاني: النداء الإلهيّ للنبي نوح عليه السلام

نادى ربّ العزّة ﷻ نبيّه نوحاً عليه السلام في القرآن الكريم نداءين اثنين في سورة (هود) على النحو الآتي:

(1) خطاب اللوم والعتاب: وذلك في قوله ﷻ: ﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۖ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[5].

ويلحَظ أنّ هذا النداء الإلهيّ لنوح عليه السلام من باب الإعلام والعتاب له[6]، فقد عوتب بأنّ مثْله في معرض الإرشاد والقيام بأعباء الدعوة تلك المدّة المتطاولة لا ينبغي أنْ يشتبه عليه كلامُ

---

[1] [طه: 117]

[2] انظر، المحلي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت: 864هـ)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): **تفسير الجلالين**، (القاهرة، دار الحديث، ط1)، (417).

[3] انظر، المقدم، محمد أحمد إسماعيل: **دروس محمد إسماعيل**، (بلا معلومات نشر)، (100/ 12).

[4] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (9/ 4798)، ودرويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ): **إعراب القرآن وبيانه**، (دمشق، بيروت، دار اليمامة – ودمشق ، بيروت، دار ابن كثير – وسورية، حمص، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط4 – 1415هـ)، (6/ 256).

[5] [هود: 45-46]

[6] انظر، مشري: **مركب النداء**، (452).

المسترشِد والمعاند، فعوتب إذن على أنِ اشتبه عليه ما يجب أنْ لا يشتبه، فمدار العتاب على الاشتباه، ويرجع هذا إلى ترْك الأَولى[1].

(2) خطاب البشرى بالنجاة: وذلك في قوله ﷻ: ﴿ قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ۚ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[2].

قال الآلوسي: "وهذا منه تعالى إعلامٌ وبشارةٌ بقبول توبته عليه السلام، وخَلاصِه من الخسران مع الإشارة إلى عَود الأرض إلى حالها مِن الإنبات وغيره"[3].

المطلب الثالث: النداء الإلهيّ للنبي إبراهيم عليه السلام

تبيّن أنّ الله ﷻ نادى خليله إبراهيم عليه السلام في القرآن المجيد نداءين اثنين، الأوّل في سورة الصافات، والثاني في سورة هود، وذلك على النحو الآتي:

(1) قصة الذبيح: وذلك في قوله جل جلاله: ﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ ﴾[4].

يلاحَظ أنّه اجتمع في هذه الآية الكريمة النداء بلفظه وبأداةٍ من أدواته، وهذا من باب تشريف إبراهيم عليه السلام بالخطاب؛ نظراً لصَبره على البلاء العظيم الذي ابتُلي به، فاستهلّ المولى جل جلاله خطابه بالإخبار عن حال النداء، ثمّ أعقبَ ذلك بإدراج اسم (إبراهيم) على أنه المنادَى المخصوص، وكانت هذه الحُظوة بهذا النداء؛ لأنّ بلاءه كان في أقرَب الناس إليه وهو ابنُه، حيث أُمِر أنْ يذبحَه، وهذا ما لا تطيقه نفسٌ بشريّة[5]، فضلاً عن إنعام الله جل جلاله عليه بالولد بعد انتظار سنين طويلة دون إنجاب.

---

[1] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (2/ 400)، والآلوسي: **روح المعاني**، (6/ 267-268).

[2] [هود: 48]

[3] الآلوسي: **روح المعاني**، (6/ 270).

[4] [الصافات: 104-106]

[5] انظر، مشري: **مركب النداء**، (453).

(2) قصة مجيء الملائكة إلى إبراهيم عليه السلام بالبشرى بإسحاق ويعقوب عليهما الصلاة والسلام:

وذلك في قوله جل جلاله: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ إِنَّهُۥ قَدۡ جَآءَ أَمۡرُ رَبِّكَۖ وَإِنَّهُمۡ ءَاتِيهِمۡ عَذَابٌ غَيۡرُ مَرۡدُودٖ ٧٦ ﴾[1].

قال جل جلاله مخبراً عن قول رسُله عليهم السلام لإبراهيم عليه السلام: ﴿ يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ أَعۡرِضۡ عَنۡ هَٰذَآۖ ﴾، وذلك قيلهم له حين جَادلهم في قوم لوط، فقالوا: يا إبراهيم أعْرض عن هذا، ودعْ عنك الجدالَ في أمرهم والخصومة فيه، وإنْ كانتِ الرحمةُ ديدنَك[2].

ويُلحَظ في هذا النداء العلويّ لإبراهيم عليه السلام أنَّ ربَّه ناداه باسمه؛ تقريباً له[3].

المطلب الرابع: النداء الإلهيّ للنبي موسى عليه السلام

الرقم	الآية	السورة
1	﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤ ﴾	الأعراف
2	﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ١١ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ ﴾	طه
3	﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ١٧ ﴾	طه
4	﴿ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ١٩ ﴾	طه
5	﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ٣٦ ﴾	طه
6	﴿ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠ ﴾	طه
7	﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣ ﴾	طه
8	﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٩ ﴾	النمل

---

[1] [هود: 76]

[2] انظر، الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1420هـ – 2000م)، (15/ 407).

[3] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (7/ 3733).

9	﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾	النمل
10	﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِئِ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَـٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾﴾	القصص
11	﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾	القصص

تبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية المحتوية على النداءات الإلهيّة للكليم عليه السلام أنّ الله جل جلاله قد ناداه بأداة النداء الظاهرة (يا) أحد عشر نداءً[1].

وظهر من خلال استقراء النداءات الربانية لموسى عليه السلام ما يأتي:

أولاً: إنّ موسى عليه السلام مِن أكثر الأنبياء الذين نادوا ربَّهم في القرآن الكريم، كما أنه مِن أكثر الأنبياء مناداة، فإنّ ربّ العزّة تبارك وتعالى قد أخبر أنه نادى موسى عليه السلام في غير موضعٍ من القرآن المجيد، كما قال العزيز الحميد: ﴿ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ﴾[2]، فهذه الخصوصيّة معه جاءت تماشياً والجهد الذي بذله مع بني إسرائيل؛ إذ لم يكُن تكليفه بالرسالة التي حمَلها بالأمر الهيِّن[3].

ثانياً: إنّ معظم النداءات الربّانية لموسى عليه السلام قد وردت في سورة (طه)، حيث احتوت على ستّةٍ من تلك النداءات بأداة النداء الظاهرة (يا).

ثالثاً: إنّ النداء الإلهي لموسى عليه السلام بالاطمئنان قد ورد مرتين، وهما:

الأولى: قوله: ﴿ يَـٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾[4].

الثانية: قوله: ﴿ يَـٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾[5].

---

1 انظر، مادة (موس) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (777-778).

2 [النازعات: 15-16]

3 انظر، مشري: **مركب النداء**، (453).

4 [النمل: 10]

5 [القصص: 31]

رابعاً: إنّ خطاب الله لموسى عليه السلام المتضمّن للأمر بإتيان الفعل، وذلك في قوله: ﴿ قَالَ أَلْقِهَا يَـٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾[1] هو مِن أقصر النداءات الربّانية.

المطلب الخامس: النداء الإلهيّ للنبي داود عليه السلام الحُكم بالعدل

تبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ ربّ العالمين قد نادى نبيّه داود عليه السلام في آيةٍ واحدةٍ، وذلك في قوله جل جلاله: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾ ﴾[2]. قال الشافعي: "فأعلمَ اللّه نبيّه عليه السلام أنّ فرْضاً عليه، وعلى مَن قبله، والناس، إذا حكَموا أنْ يحكموا بالعدل، والعدلُ: اتّباعُ حُكمِه المنزَّل"[3].

المطلب السادس: النداء الإلهيّ للنبي زكريا عليه السلام استجابة الدعاء

تبيّن أنّ ربّ العزة تبارك وتعالى قد نادى نبيّه زكريا عليه السلام مرّةً واحدةً في كتابه الكريم، وذلك في سورة مريم، فقال جل جلاله: ﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ ﴾[4].

فقد ابتدأ ربّ العزّة الإجابة بندائه باسمه؛ إدناءً، وعنايةً، وإظهاراً للمحبّة والاختصاص، وتمكيناً لإجابته في ندائه الضارع، وأردفَ ذلك النداءَ المقرِّبَ بقوله: ﴿ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ﴾، وأضاف جل جلاله في قوله: ﴿ نُبَشِّرُكَ ﴾ التبشيرَ إلى ذاتِه العليّة ذاكراً بضمير المتكلّم العظيم فوق كلّ عظمةٍ الذي لا يتقيّد بأسباب الناس وعاداتهم، بل إنه الفعّال لمَا يريد، وتأكيدًا للتبشير سمّاه اللّه جل جلاله، فسمّاه (يحيى)[5].

---

[1] [طه: 19]

[2] [ص: 26]

[3] الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ): **تفسير الإمام الشافعي**، تحقيق د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، (المملكة العربية، السعودية، دار التدمرية، ط1- 1427 - 2006م)، (3/ 1228).

[4] [مريم: 7]

[5] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (9/ 4613).

وقد تضمّنت هذه البشرى ثلاثة أمور[1]:

أحدها: إجابة دعائه، وهي كرامة.

والثاني: إعطاؤه الولد، وهو قوّة له.

والثالث: إفراده بتسمية لم يُسمَّ بها أحَدٌ قبْله.

المطلب السابع: النداء الإلهيّ للنبي يحيى عليه السلام

(يحيَى) عليه السلام أحَدُ الأنبياء الذين ناداهم المولى جل جلاله في الذِّكر الحكيم، وقد تبيّن من خلال التتبّع للنصوص القرآنيّة أنّ الله عز وجل نادى نبيّه يحيى عليه السلام مرّةً واحدة، وذلك في قوله جل جلاله: ﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾[2]، فقد ناداه جل جلاله هنا بالبعيد؛ إعلاءً له وتشريفاً، وناداه باسمه؛ محبّةً له وتقريباً[3].

المطلب الثامن: النداء الإلهيّ للنبي عيسى عليه السلام

تبيّن من خلال تتبّع النداءات الربّانية أنّ الله عز وجل نادى عبده ونبيّه عيسى عليه السلام في كتابه العزيز ثلاث مرات، فجاء النداء الأوّل في سورة آل عمران[4]، أمّا النداء الثاني والثالث فقد ورَدا في سورة المائدة[5]، وذلك على النحو الآتي:

(1) خطاب الإخبار بالوفاة مجازاً: وذلك في قوله جل جلاله: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[6].

---

[1] انظر، الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط5 – 1424هـ – 2003م)، (3/ 297).

[2] [مريم: 12]

[3] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (9/ 4617).

[4] [آل عمران: 55]

[5] [المائدة: 110]، [المائدة: 116].

[6] [آل عمران: 55]

يبيّن ﷻ في هذه النداء الرحيم بعض مظاهر قدرته ورعايته لعبده عيسى عليه السلام، وخذلانه لأعدائه، والمعنى: اذكرْ يا محمد للعظة والاعتبار قصصَ عيسى، إذ قال الله ﷻ له في هذا النداء منجّياً لـه مـن أذى اليهـود: ﴿ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾، فرفع اللهُ عبده ورسوله عيسى إليه، وأُلقِيَ شبَهُه على غيره، فأخذوا مَن أُلقِيَ شبهُه عليه فقتلوه وصلبوه، وباؤوا بالإثم العظيم بنيّتهم أنه رسول الله[1].

(2) خطاب التذكير بالنِّعَم: وذلك في قوله ﷻ: ﴿ إِذ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾[2]. يخاطب الله ﷻ عيسى عليه السلام في هذا النداء الجليل بقوله:﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾، وفي هذا النداء الربّاني إشارة إلى أنه عليه السلام ابن مريم لَا ابن أحَدٍ سواها، فقد وُلد مِن غير أب، والإلهُ أو ابنُ الإله لا يمكن أنْ يكون متولَّداً[3].

(3) خطـاب التعـريض بالـذَّنْب: وذلـك فـي قولـه ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾[4].

يخاطِب ربّ العزّة ﷻ عبدَه عيسى عليه السلام في حوار قرآنيّ بديع بقوله: ﴿ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ﴾، ويظهر أنّ ورود هذا النداء باسْمه وبغير ذِكر النبوّة؛ للإشارة إلى الولادة الطبيعية للمسيح، والردّ على افتراء النصارى حول حقيقته[5].

---

[1] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (4/ 100)، والسعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1420هـ – 2000م)، (132).

[2] [المائدة: 110]

[3] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (5/ 2394).

[4] [المائدة: 116]

[5] انظر، طنطاوي، محمد السيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة، الفجالة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 – 1998م)، (4/ 348).

المطلب التاسع: النداء الإلهيّ للرسل عامّة عليهم الصلاة والسلام

وُجِّه النداء في القرآن الكريم للرّسل عليهم الصلاة والسلام جمعاً[1]، وللرسول مفرداً، وتبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ الله ﷻ نادى الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً بصيغة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ ﴾ في موضعٍ واحدٍ، وذلك في سورة (المؤمنون)، وهو قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٥١ ﴾[2].

لقد ختم ﷻ الحديث عن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في سورة (المؤمنون) بتوجيه خطابٍ إلى الرّسل عليهم السلام جميعاً، أمر فيه ﷻ عباده المرسلين عليهم الصّلاة والسّلام أَجمعين بالأَكل من الحلال، والقيام بالصّالح من الأَعمال، فدلّ تقديمُ الأكل مِن الطيبات على العمل الصالح على أنه هو الذي يثمرها؛ لأنّ الغذاء الطيّب يصلُح عليه القلب والبدن، فتصلح الأعمال، كما أنّ الغذاء الخبيث يفسد به القلب والبدن، فتفسد الأعمال، فقام الأنبياء عليهم السلام بهذا أَتمَّ القيام، وجمعوا بين كلّ خير، قولاً وعملاً ودلالةً ونصحاً، فجزاهم اللّه عن العباد خيراً[3].

[1] عدّ صاحب (البرهان) هذا النداء من خطاب الواحد بلفظ الجمع –وهو كذلك–، وتبعه صاحب الإتقان، ثم عقّب الزركشي عليه قائلاً: "فهذا خطاب للنبي ﷺ وحده؛ إذ لا نبيّ معه قبله ولا بعده". الزركشي: **البرهان**، (2/ 234)، وانظر، السيوطي: **الإتقان**، (3/ 111).

[2] [المؤمنون: 51]

[3] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (5/ 477).

الفصل الثالث

أساليب النداءات الإلـهية للرسول محمد ﷺ

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: النداء بصفة النبوّة

المبحث الثاني: النداء بصفة الرسالة

المبحث الثالث: النداء بأحواله ﷺ

المبحث الرابع: ما قيل إنه نداءٌ للنبي محمد ﷺ

أساليب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ

تمهيد:

سأتناول في هذا الفصل أساليب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ، وذلك من خلال الحديث عن النداء بصفة النبوّة، ثُمّ النداء بصفة الرسالة، ثُمّ النداء بأحواله ﷺ، وسأختم الفصل بالحديث عمّا قيل إنه نداءٌ للنبي محمد ﷺ؛ وصولاً إلى رأي راجح في هذه القضية إن شاء الله ﷻ.

المبحث الأول: النداء بصفة النبوّة

تمهيد:

يدور هذا المبحث حول نداءات الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ بصيغة ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، والتعريف الذي أرجّحه للنبيّ واللَّه أَعلم بالصواب: أنَّه المبعوث لتقرير شرْع مَن قبله[1].

وقد جاء النداء بصفة النبوّة في ثلاث عشرة آيةً[2] من القرآن الكريم، لذا فقد قسّمت هذا المبحث إلى اثني عشر مطلباً مُرتَّبة حسب ترتيب المصحف الشريف على النحو الآتي:

المطلب الأول: نداء البشرى بالكفالة

قوله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[3].

هذا هو النداء الأوّل للنبيّ محمد ﷺ، وقد تضمّنت سورة (الأنفال) ثلاثة نداءات ربّانية للنبيّ ﷺ.

وفي هذه الآية الكريمة نادى ربُّ العزّة ﷻ خيرَ خلْقه وصفوةَ رسُله ﷺ نداءَ كرامة؛ فخاطبه ﷻ فيه بوصف النبوّة بقوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾؛ وذلك لبيان علُوّ منزلته، والاعتناء بمضمون الخطاب، وما يدلّ عليه من أوامر وتعاليم عظيمة[4].

ويتضح أنّ تخصيص النبي ﷺ بهذه الكفاية هي لِتشريف مقامه بأنّ الله ﷻ يكْفي الأمّة لِأجله[5].

وجاء النداء هنا بـ(يا) التي تكون للبعيد؛ وذلك لبُعد الشّرَف في موضوع النداء، وهو: الاعتماد على الله ﷻ، والالتقاء بحمايته وبكلاءته[6].

---

[1] انظر، البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 1418هـ)، (4/ 75)، والآلوسي: **روح المعاني**، (9/ 165).

[2] انظر، مادة (نبأ) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (782).

[3] [الأنفال: 64]

[4] انظر، البدر: **نداء الله نبيه الكريم**، (61/ 197)، والمغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد: **معالم بيانية في آيات قرآنية**، (بلا معلومات نشر)، (27/ 2).

[5] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (65/10).

[6] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (3182/6) .

ومعنى قوله ﴿ حَسْبُكَ ﴾: عاصمُك وكافيك وحاميك[1]. قال ابن القيم: "أي: اللهُ –وحده– كافيك وكافي أتباعك، فلا يحتاجون معه إلى أحَد"[2].

وهذا وعدٌ محضٌ من الله ﷻ لعباده المؤمنين المتَّبعين لرسوله ﷺ بالكفاية، والنصرةِ على الأعداء، فإذا أتوا بالسَّبب الذي هو الإيمان والاتباع، فلا بدَّ أنْ يكفيهم ما أهمَّهم مِن أمور الدِّين والدنيا، وإنّما تتخلَّف الكفاية بتخَلُّفِ شرطها[3].

والحقيقة: أنّ لِلّه في الكون سُنناً ربّانيةً لا تُحابي أحداً من الخلْق مهما ادّعَى لنفسه من مقوّمات المحاباة، كيف وقد هُزم المسلمون في معركة أحُدٍ وقائد الميدان سيّد الخلْق وحبيب الحقّ محمد ﷺ، فكيف يُهزم المسلمون وقائدهم سيّد ولد آدم وعدوُّهم المشركون؟!، يجيب ﷻ: ﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ﴾[4].

ولا شكّ في أنّ استحضار معونة الجبّار ﷻ يقوّي الرّوح المعنويّة في جيوش المسلمين، ولكنه لا يمنع الأخذ بالأسباب، لذا يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[5]،[6].

وأرى أنّ أَشَدّ ساعات الليل سواداً هي الساعة التي يليها ضوء الفجر، وفجر الإسلام قادمٌ لا محالة –رغم كيد الكائدين وتآمر المتآمرين ونفاق المنافقين–، قال ﷻ: ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ﴾[7]؛ وذلك لأنّ الذي سيفصِل في الأمر في نهاية المطاف ليس ضخامة الباطل؛ وإنما قوّة الحقّ، ولا شكّ في أنّ معنا الحقّ، ومعنا رصيد

---

[1] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (2/ 549)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (8/ 42)، وأبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (6/ 3182).

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، إشراف إبراهيم رمضان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1 – 1410هـ)، (302).

[3] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (325).

[4] [آل عمران: 165]

[5] [الأنفال: 65]

[6] انظر، حجازي، محمد محمود: **التفسير الواضح**، (ط10 – 1413هـ)، (1/ 843).

[7] [الصف: 8]

الفطرة، ومعنا قبل كلّ شيء معيّة ملِك الملوك ﷻ، فهو حسْبنا ونِعم الوكيل، ومَن كان الله ﷻ معه، فمَن عليه؟ قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ۝٢١ ﴾[1].

وهذا النداء ليس تكراراً لِمَا قبْله، وهو قوله ﷻ: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾[2]؛ لأنّ هذه كفاية خاصّة مُقيَّدة بإرادة الخَدْع، أمّا في هذا النداء فهي كفاية عامّةٌ غيرُ مُقيَّدة، أَيْ: (حسبُكَ اللَّهُ في كلِّ حال) [3].

وفي هذه الآية الكريمة أربعة تقديرات[4]:

التقدير الأول: أنْ تكون الواو عاطفة (مَن) على الكاف المجرورة.

والتقدير الثاني: أنْ تكون الواو واو المعيّة، وتكون (مَن) في محلّ نصب عطفاً على الموضع، فإنّ (حسبك) في معنى كافيك، أي: الله يكفيك ويكفي مَن اتّبعك، كما تقول العرب: (حسبُك وزيداً).

والتقدير الثالث: أنْ تكون (مَن) في موضع رفعٍ بالابتداء، أي: ومَنِ اتّبعك من المؤمنين حسبُهم الله.

والتقدير الرابع: هو أنْ تكون (مَن) في موضع رفعٍ عطفاً على اسم (الله)، ويكون المعنى: حسبُك اللهُ وأتباعُك، قاله مجاهد.

وأرى أنّ الحقّ الذي لا محيد عنه –وعليه درج أكثر المفسِّرين–[5] أنّ الحسْب والكفاية لا يُقالان إلّا لله، وهذا بدلالة استقراء القرآن الكريم، فلا يقال: (حسبيَ اللهُ وفلان)، فالحسبُ خاصٌّ

---

[1] [يوسف: 21]

[2] [الأنفال: 62]

[3] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (42/8)، والرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ): **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3 – 1420هـ)، (15/ 503)، والشوكاني: **فتح القدير**، (2/ 369).

[4] انظر، ابن القيم: **التفسير القيم**، (302)، وابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (بيروت، مؤسسة الرسالة – الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط27 – 1415هـ – 1994م)، (37/1).

[5] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (2/ 548)، وابن القيم: **التفسير القيم**، (302)، والشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ – 1995م)، (2/ 104).

بالله، وهو من العبادة الخاصَّة به ﷻ كالتوكّل[1]، ولهذا قال ﷻ في مواضع أُخَر: ﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾[2]، ونظيره أيضاً قوله ﷻ: ﴿ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ ﴾[3].

وهذا المعنى الَّذي ذهبتُ إليه قد اقتصر عليه ابن كثير[4]، وكذلك رجّحه ابن القيّم بقوله: "وهذا أصحّ التقديرين[5]"[6]، أمّا التقدير الرابع فهو خطأٌ محضٌ مِن جهة المعنى لا يجوز حمْل الآية عليه[7].

غير أنّ بعض الألفاظ التي تحتمل معنى النصرة والتأييد والإذعان والإيتاء، قد تبيّن بالاستقراء أنّ الربّ ﷻ يُضيفها إليه وإلى غيره سواء -إلى الرسول أم المؤمنين-، كما في قوله ﷻ: ﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ۝٥٩ ﴾[8]،[9].

هذا، وإنْ أُسندَت هذه الألفاظ التي تحتمل معنى النصرة وما شابهها إلى غير الله ﷻ أحياناً، لكنْ يختلف معناها عن إسنادها إلى الله ﷻ؛ فإنّ إنعام الله غير إنعام عبْده، وإيتاءه غير إيتاء عبده، وإغناءه غير إغناء عبده[10].

المطلب الثاني: نداء التحريض على الجهاد

قوله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ۝٦٥ ﴾[11].

---

[1] انظر، الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن: **شرح تفسير ابن كثير**، (بلا معلومات نشر)، (95/ 2).

[2] [الأنفال: 62]

[3] [الزمر: 36]

[4] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (4/ 86).

[5] يَقصِد ابن القيم التقدير الثاني.

[6] ابن القيم: **زاد المعاد**، (1/ 38).

[7] انظر، **المرجع السابق**، (302).

[8] [التوبة: 59]

[9] انظر، المغامسي: **معالم بيانية**، (27/ 2).

[10] انظر، **المرجع السابق**، (27/ 2).

[11] [الأنفال: 65]

أُعيد نداء النبيّ محمد ﷺ مرّةً أخرى في سورة الأنفال؛ رفعةً لقدْره، وللتنويه بشأن الكلام الوارد بعد النّداء، وهذا الكلام في معنى المقصد بالنّسبة للجملة التي قبله؛ لأنه لمَّا تكفَّل اللّه ﷻ له الكفاية، وعطف المؤمنين في إسناد الكفاية إليهم، احتِيج إلى بيان كيفيّة كفايتهم، وتلك هي: الكفاية بالذّبّ عن الحَوزة، وقتال أَعداء اللّه، فالتّعريف في القتال للعهد، وهو القتال الّذي يعرفونه، وهو: قتال أعداء الدّين[1].

يقول ﷻ لنبيّه محمد ﷺ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾، أي: "حُثَّ متّبعيك ومصدِّقيك على ما جئتَهم به مِن الحقّ على قتال مَن أدبرَ وتولّى عن الحقّ من المشركين"[2].

وفي هذا النداء الجليل يحرِّض ﷻ نبيّه ﷺ والمؤمنين على القتَال ومناجزة الأَعداء ومبارزة الأَقران، ويخبِرهم أَنّه حسبُهم وَمؤيِّدهم على عدوّهم، وإن كثُرت أَعدادهم وترادفت أَمدادهم، ولو قلّ عدد المؤمنين، ولهذا كان رسول اللَه ﷺ يحرِّض على الْقتال عند صفِّهم ومواجهة العدوّ، كما حرّض أَصحابَه ﷺ يوم بدر[3].

والتّحريض: المبالغة في الطّلَب، مأخوذٌ مِن الحَرَض، وهو أنْ ينهكه المرض حتى يُشارِف على الموت، كأَنّه ينسُبه إلى الهلاك لو تخلَّفَ عن المأمور به[4].

ثُمّ بشَّرهم ﷻ تثبيتاً لقلوبهم وتسكيناً لخواطرهم بأنّ الصابرين منهم في القتال يَغلبون عشرة أمثالهم من الكفّار، فقال ﷻ: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[5].

---

[1] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (10/ 66).

[2] الطبري: **جامع البيان**، (14/ 50).

[3] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (4/ 86).

[4] انظر، البيضاوي: **أنوار التنزيل**، (3/ 66)، والرازي: **مفاتيح الغيب**، (15/ 504)، والخازن، علاء الدين علي بن محمد (ت: 741هـ): **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1415هـ)، (2/ 325)، والشوكاني: **فتح القدير**، (2/ 370).

[5] [الأنفال: 65]

ويعني بقوله: ﴿ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ ﴾ أي: رجلاً ﴿ صَٰبِرُونَ ﴾ عند لقاء العدو، محتسِبين أنفسَهم، يَغلِبُوا مئتين يعني: من عدوِّهم، ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ ﴾ عند ذلك ﴿ يَغْلِبُوٓا ﴾ منهم ﴿ أَلْفًا ﴾[1].

وظاهِر لفظ هذه الآية الكريمة خبرٌ، ولكن معناه: الأمر، كقوله ﷻ:﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾[2]، وهكذا كلُّ خبرٍ مِن الله ﷻ وعَد فيه عبادَه على عمَلٍ ثواباً وجزاءً، وعلى ترْكه عقاباً وعذاباً، وإنْ لم يكُن خارجاً ظاهرُه مخرجَ الأمر، ففي معنى الأمر[3]، فكأنه ﷻ قال: إنْ يكن منكم عشرون فلْيصبروا ولْيجتهدوا في قتال عدوّهم حتى يغلبوا مائتين، ويدلّ على أنّ المراد بهذا الخبر الأمر قولُه: ﴿ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ ﴾[4]؛ لأنّ النسخ لا يدخل على الأخبار، إنما يدخل على الأمر، فدلّ ذلك على أنّ الله ﷻ أَوجَب أوّلاً على المؤمنين هذا الحُكم، وإنما حَسُن هذا التكليف؛ لأنّ الله ﷻ وعَدهم بالنصر، ومَن تكفّل الله ﷻ له بالنصر سَهُل عليه الثبات مع الأعداء[5].

ويبدو أنّ في إتيانه بلفظ الخبر هنا نكتة بديعة لا توجد فيه إذا كان بلفظ الأمر؛ وهي: تقوية قلوب المؤمنين، والبشارة بأنهم سَيَغلبون الكافرين[6]، ويؤكد الرازي أنه "ليس المراد منه الخبر بل المراد الأمر، كأنه قال: إن يكن منكم عشرون فلْيصبروا ولْيجتهدوا في القتال حتى يَغلبوا مائتين"[7].

وهذه عِدةٌ من الله ﷻ وبشارةٌ بأنّ الجماعة من المؤمنين إنْ صبروا غلَبوا عشرةَ أمثالِهم من الكافرين بعون الله ﷻ وتأييده[8].

---

[1] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (14/ 50-51).

[2] [البقرة: 233]

[3] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (14/ 57).

[4] [الأنفال: 66]

[5] انظر، الخازن: **لباب التأويل**، (2/ 325).

[6] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (325).

[7] الرازي: **مفاتيح الغيب**، (15/ 504).

[8] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (2/ 235)، والبيضاوي: **أنوار التنزيل**، (3/ 66).

وهكذا كان المسلمون في العصور الأُولى حين كانوا يَعمَلون بهداية دينهم كانوا بها أرباب مُلكٍ واسعٍ وجاهٍ عريضٍ، ودانت لهم الشعوب الكثيرة، حتى إذا ما تركوا هذه الهداية زال مجدهم وسؤددهم، وذهب ريحهم، ونُزع منهم أكثر ذلك المُلك[1].

ثمّ قال ﷻ: ﴿بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾، أي: بسبب أنَّ الكفار قومٌ جهلةٌ بالله واليوم الآخر، يقاتِلون على غير احتسابٍ وطلبِ ثوابٍ كالبهائم، فيقلُّ ثباتهم، ويُعدمون نصرته، ويستحقّون خذلانه، خلاف مَن يقاتل على بصيرةٍ ومعه ما يستوجب به النصر مِن الله ﷻ[2].

ولا شك في أنّ الأمّة الإسلامية قد مرضت واشتدّ مرضها، ولكنّ أُمّتنا بحول الله ﷻ لم تمُت ولن تموت، فهي وإنْ مرضت فسوف تشفَى، وإنْ نامت فسوف تستيقظ، وإنّ هذه المؤامرات التي تُحاك لهذا الدين الحنيف ولهذه الأمة في الليل والنهار، إنما هي إلى زوال، وإنّ أهلها إلى فناء، وسيبقى الإسلام شامخاً يناطح كواكب الجوزاء؛ لأنه دين ربّ الأرض والسماء، قال ربّ العزة ﷻ: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣﴾[3].

المطلب الثالث: نداء الكشف عن سرائر الأسرى

قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠﴾[4].

هذا هو النداء القرآني الثالث للنبي محمد ﷺ، وهذا النداء يتعلّق بحال سرائر بعض الأسرى، بَعد أنْ كان الخطاب مُتعلّقًا بالتّحريض على القتال[5].

---

[1] انظر، المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ): **تفسير المراغي**، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1 – 1365هـ – 1946م)، (10/ 31).

[2] انظر، البيضاوي: **أنوار التنزيل**، (3/ 66)، والنَّسَفِيّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710هـ): **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت، دار الكلم الطيب، ط1 – 1419هـ – 1998م)، (1/ 655).

[3] [الصافات: 171-173]

[4] [الأنفال: 70]

[5] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (10/ 80).

وليس أدلّ من هذا النداء الإلهي على أنّ هذا الدين العظيم منهج كامل وصالح ومصلح لكل زمان ومكان، وهو يبدأ من فراش الزوجية، وينتهي إلى العلاقات الدَّوْلية، لذلك فإنَّ فيه لكل قضية –جلّت أم صغرت– حُكماً شرعيّاً، ومن تلك القضايا التي عرض لها القرآن الكريم الأحكام المتعلِّقة بالأسر كما سيظهر من خلال هذا النداء الكريم.

وقد اختلف المفسِّرون في أنَّ الآية نازلة في العبّاس خاصّة، أو في جملة الأُسارى، فقد قال الكلْبيّ: "نَزَلَتْ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَنَوْفَلِ بْنِ الْحَارِثِ، وَكَانَ الْعَبَّاسُ أُسِرَ يَوْمَ بَدْرٍ وَمَعَهُ عِشْرُونَ أُوقِيَّةً مِنَ الذَّهَبِ وَكَانَ خَرَجَ بِهَا مَعَهُ إِلَى بَدْرٍ لِيُطْعِمَ بِهَا النَّاسَ، وَكَانَ أَحَدَ الْعَشَرَةِ الَّذِينَ ضَمِنُوا إِطْعَامَ أَهْلِ بَدْرٍ، وَلَمْ يَكُنْ بَلَغَتْهُ النَّوْبَةُ[1] حَتَّى أُسِرَ، فَأُخِذَتْ مِنْهُ وَأَخَذَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ، قَالَ: فَكَلَّمْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ لِيَ الْعِشْرِينَ الْأُوقِيَّةَ الذَّهَبَ الَّتِي أَخَذَهَا مِنِّي فِدَاءً، فَأَبَى عَلَيَّ وَقَالَ: "أَمَّا شَيْءٌ خَرَجْتَ تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَيْنَا فَلَا"، وَكَلَّفَنِي فِدَاءَ ابْنِ أَخِي عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِشْرِينَ أُوقِيَّةً مِنْ فِضَّةٍ، فَقُلْتُ لَهُ: تَرَكْتَنِي وَاللَّهِ أَسْأَلُ قُرَيْشًا بِكَفِّي وَالنَّاسَ مَا بَقِيتُ، قَالَ: "فَأَيْنَ الذَّهَبُ الَّذِي دَفَعْتَهُ إِلَى أُمِّ الْفَضْلِ قَبْلَ مَخْرَجِكَ إِلَى بَدْرٍ وَقُلْتَ لَهَا: إِنْ حَدَثَ بِي حَدَثٌ فِي وَجْهِي هَذَا فَهُوَ لَكِ وَلِعَبْدِ اللَّهِ وَالْفَضْلِ وَقُثَمَ"؟ قَالَ: قُلْتُ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: "أَخْبَرَنِي اللَّهُ بِذَلِكَ"، قَالَ: أَشْهَدُ إِنَّكَ لَصَادِقٌ وَإِنِّي قَدْ دفعت إليها ذهبا ولم يطلع عليها أَحَدٌ إِلَّا اللَّهُ، فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ الْعَبَّاسُ: فَأَعْطَانِي اللَّهُ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنِّي، كَمَا قَالَ: عِشْرِينَ عَبْدًا كُلُّهُمْ يَضْرِبُ بِمَالٍ كَثِيرٍ مَكَانَ الْعِشْرِينَ أُوقِيَّةً، وَأَنَا أَرْجُو الْمَغْفِرَةَ مِنْ رَبِّي"[2].

والأولَى أنْ يقال: إنّ الآية نزلت في جملة الأُسارى؛ لأَنّ ظاهر الآية يقتضي العموم من ستّة أَوجه –كما ذكر الرازي–[3]، ثُمّ قال: "أَقصى ما في الباب أن يقال: سبب نزول الآية هو: العبّاس، إلّا أنّ العبْرة بعموم اللفظ لا بخصوص السّبب"[4].

---

[1] "التناوب على كلّ واحد منهم نَوْبة يَنوبها أي: طعام يوم، وجمع النَّوْبة نُوَب". ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (نوب)، (1/ 775).

[2] الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ): **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، (الدمام، دار الإصلاح، ط2 – 1412هـ – 1992م)، (241– 242). قال المحقق: ويشهد له ما ذكره ابن عباس مختصرًا بمعناه، وإسناده صحيح.

[3] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (15/ 513).

[4] **المرجع السابق**، (15/ 513).

ولقد خاطب الله ﷻ نبيَّه ﷺ في هذا النداء الكريم طالباً منه أن يقول للأسرى كلمةً رحيمةً هاديةً تقرِّب القلوب، فقال ﷻ: ﴿ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾، أي: قل يا محمّد لهؤلاء الذين وقعوا في الأَسْر من الأعداء: ﴿ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ﴾[1].

قوله: ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا ﴾، أي: إسلاماً وصدقاً وعزماً على طاعة اللّه وطاعة رسوله في جميع التّكاليف، والتّوبة عن الكفر وعن جميع المعاصي، ويدخل فيه العزم على نصرة الرّسول، والتّوبة عن محاربته[2].

قوله: ﴿يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ أي: مِن الفدية، بأنْ ييسّر لكم مِن فضله خيراً وأكثر ممّا أخذ منكم[3].

قيل: المراد من هذا الخير: الخُلْف ممّا أُخِذ منهم في الدّنيا، وقيل: المراد منْه: ثواب الآخرة، وقيل: أنّه محمول على الكلّ[4].

والذي يترجّح لديّ القول الأول؛ لأنّ ذلك هو الأَصل في التّفضيل بين شيئين أَن يكون تفضيلاً في خصائص النّوع، ولأنّه عطف عليه قوله: ﴿وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾، وذلك هو خير الآخرة المترتّب على الإيمان؛ لأنّ المغفرة لا تحصل إلّا للمؤمن[5].

ثمّ قال ﷻ: ﴿ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ ﴾، وهذا تأكيدٌ لمَا مضى ذكره من قوله ﷻ:﴿ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ ﴾، والمعنى: كيف لا يَفي بوعده المغفرة، وشأنه المغفرة لعباده والرحمة بهم؟، فهذا التَّذييل؛ للإيماء إلى عظَم مغفرته الّتي يغفر لهم، فإنّ ﴿ غَفُورٞ﴾ صيغة مبالغة، وذلك يقتضي قوّة المغفرة وكثرتها، ويُستعمل فيهما باعتبار كثرة المخاطبين، وعظَم المغفرة لكلّ واحد منهم[6].

---

[1] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (6/ 3197).

[2] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (15/ 513). والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (8/ 53).

[3] انظر، البيضاوي: **أنوار التنزيل**، (3/ 67)، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (327).

[4] انظر، النسفي: **مدارك التنزيل**، (1/ 658)، والرازي: **مفاتيح الغيب**، (15/ 514)، والشوكاني: **فتح القدير**، (2/ 374).

[5] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (10/ 81).

[6] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (15/ 514)، والشوكاني: **فتح القدير**، (2/ 374)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (10/ 81).

ويؤخذ من هذا النداء الربّاني الجليل أنه يجب على المؤمنين ترغيب الأسرى في الإيمان، ودعوتهم إليه[1].

المطلب الرابع: نداء الحث على مجاهدة الكفار والمنافقين

قوله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

يظهر من خلال استقراء النداءات الربانية للنبي محمد ﷺ أنّ خطاب الله له في الحثّ على الجهاد قد ورد مرّتين، النداء الأوّل في سورة التوبة، والثاني في سورة التحريم.

ويبدو أنّ السِّرّ في إعادة هذا النداء الجهادي مرتين هو التأكيد على خطر الكفرة والمنافقين، لذلك أوجب علينا قتالهم والغلظة عليهم.

وفي هذا النداء الجليل نادى ﷻ رسولَه محمداً ﷺ بعنوان النبوّة؛ تشريفاً وتكريماً[3].

والخطاب في هذا النداء العلويّ للنبيّ محمد ﷺ وللمؤمنين مِن بعده[4]، وخُصّ النبيّ ﷺ ابتداءً بالأمر بالجهاد؛ لأنه القائد الأعلى، ولأنه الهادي والمرشِد والموجِّه والرائد[5].

ولقد أمر ﷻ رسوله ﷺ في هذا النداء الكريم بجهاد الكفّار والمنافقين والغلظة عليهم، كما أمَره بأَنْ يخفض جناحه لمن اتّبعه من المؤمنين في موضعٍ آخر، وذلك في قوله ﷻ:﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ ﴾[6]،[7].

ويتضح أنّ جهاد المنافقين فيه مشقةٌ عظيمةٌ؛ لأنه موقفٌ وسَطٌ بين رحمته ولِينه للمؤمنين المخلِصين، وشدّته في قتاله لأعدائه المحاربين، يجب فيه إقامة العدل واجتناب الظلم[8].

---

[1] انظر، رضا، محمد رشيد (ت: 1354هـ): **تفسير القرآن الحكيم**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م)، (10/ 89).

[2] [التوبة: 73]، [التحريم: 9].

[3] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (5/ 390).

[4] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (8/ 204).

[5] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (7/ 3375).

[6] [الشعراء: 215]

[7] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (4/ 178).

[8] انظر، المراغي: **تفسير المراغي**، (10/ 164).

وقد يقول قائل: إذا كان رسول الله ﷺ قد أُمِر بجهادهم وهو يعلَم أعيانهم، فكيف ترك المنافقين بالمدينة النبويّة بين أظهُر أصحابه فلم يقتلْهم؟

فالجواب: أنه إنما أُمِر بقتال مَن أَظهر كلمة الكفر وأقام عليها، فهُم في هذه الحال يخرجون مِن إسرار النفاق إلى الجهر بالكفر، فيدخلون في عموم الكفّار المظهِرين الكفر، أمّا مَن إذا اطُّلِع على كُفره أنكَر وحلَف وقال: (إني مُسلِم)، فإنّه أُمِر أنْ يَأخذ بظاهر أمره، ولا يبحث عن سِرِّه، وهذا اختيار شيخ المفسرين الطبري[1].

وقُرن المنافقون هنا بالكفّار؛ تنبيهاً على أنّ سبب الأمر بجهاد الكفّار قد تحقَّق في المنافقين، فجهادهم كجهاد الكفَّار، وكذلك لإلقاء الرّعب في قلوبهم، فإنّ كلّ واحد منهم يخشى أَنْ يَظهر أَمره فيعامل معاملة الكفّار المحاربين، فيكون ذلك مهلكاً لهم[2].

قوله: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، والغلظة في اللّغة: ضدّ الرِّقّة وهي شدّة القلْب وخشونة الجانب[3]، والمراد -كما يقول الزمخشري-: "واغلُظ عليهم في الجهادين جميعاً ولا تُحابِهم، وكلُّ مَن وقف منه على فسادٍ في العقيدة فهذا الحُكمُ ثابتٌ فيه، يجاهَد بالحجّة، وتُستعمل معه الغلظة ما أمكِن منها"[4].

ولا تَعارُض بين قوله ﷻ: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، وقوله لموسى عليه السلام: ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾[5]، ويوضح ذلك القشيري بقوله: "دعا نبيُّنا ﷺ كافّة الخَلق إلى حسن الخُلُق. قال لموسى عليه السلام: ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ﴾. وقال لنبيّنا ﷺ: ﴿وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ﴾، ويقال: إنما قال هذا بعد إظهار الحجج، وبعد ما أزاح عذرهم بأيام المهلة ففي الأوّل أمَره بالرّفق حيث قال: ﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍۖ ﴾[6]، فلمّا أصرّوا واستكبروا أمَره بالغلظة عليهم. والمجاهدة أوّلها اللسان لشرح البرهان، وإيضاح الحجج والبيان، ثمّ إنْ حصل من العدوّ

---

[1] كما نقله عنه القرطبي. انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 359-360).

[2] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (10/ 265-266).

[3] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (8/ 205)، والشوكاني: **فتح القدير**، (2/ 436)، ورضا: **تفسير المنار**، (10/ 474).

[4] الزمخشري: **الكشاف**، (2/ 290) .

[5] [طه: 43-44]

[6] [سبأ: 46]

جحْد بعد إزاحة العذر، فبالوعيد والزجر، ثُمّ إنْ لم ينجع الكلام ولم ينفع الملام فالقتال والحرب وبذل الوسع في الجهاد"[1].

وأضاف القشيري في تفسيره لسورة التحريم: "أمَره بالملاينة في وقت الدعوة، وقال: ﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾[2] ثمّ لمّا أصرّوا- بعد بيان الحجّة- قال: ﴿ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾؛ لأنّ هذا في حال إصرارهم، وزوال أعذارهم"[3].

وفي هذه الغلظة تربية للمنافقين، وعقوبة لهم، يُرجَى أنْ تكون سبباً في هداية مَن لم يُطبع الكفر على قلبه؛ فإنّ تقطيب وجهه الشريف في وجوههم تحقيرٌ لهم يتّبعه فيه المؤمنون، ومَن يرَ أنّه محتقَرٌ بين قومه وأبناء جنسه مِن الرئيس وغيره يضِقْ صدْره ويحاسبْ نفسه ويثبْ إلى رشده ويتبْ إلى ربِّه ﷻ، وهذه السياسة الحكيمة كانت سببَ توبة أكثر المنافقين، وإسلام ألوف الألوف من الكافرين[4].

وأرى من خلال هذا النداء الكريم وجوب الجهاد في الكافرين بالسِّنان واللِّسان وفي المنافقين غير المعلنين باللِّسان، فإنّ جهاد الكفار يحمي الصفّ من العدوّ الخارجي، وجهاد المنافقين يحمي الصفّ من العدوّ الداخلي، وينبغي على المسؤولين القيام بذلك؛ لأنهم مسؤولون مستأمَنون.

المطلب الخامس: نداء الحث على الاستزادة من التقوى

قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١ وَٱتَّبِعۡ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣﴾[5].

---

1 القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ): **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، بلا سنة نشر)، (2/ 46).

2 [النحل: 125]

3 القشيري: **لطائف الإشارات**، (3/ 608).

4 انظر، المراغي: **تفسير المراغي**، (10/ 164).

5 [الأحزاب: 1-3]

هذا هو النداء الأوّل في سورة (الأحزاب)، وما بعده من النداءات الأربعة في السورة نفسها إنما هي مندرجةٌ أغراضُها في هذا الغرض الأساس، لذلك افتُتحت به؛ لأنّ المراد منه هو الأصل، حيث تضمّن الأمْر بالتقوى، وواجب تأدية رسالة ربّه على أكمَل وجْه، دون أنْ يفسِد عليه أعداء الدِّين أعماله؛ سيراً على منهج الله ﷻ مع التوكّل عليه وحده[1].

ويظهر أنّ افتتاح السُّورة بنداء النّبِي ﷺ بوصف النبوّة مُؤذِنٌ بأَنّ الأهمّ مِنْ سَوْق هذه السُّورة يتعلّق بأَحوال النّبي ﷺ، وقد نُوديَ فيها خمس مرّات في افتتاح أَغراض مختلفة مِن التّشريع بعضها خاصٌّ به، وبعضها يتعلّق بغيره وله ملابسة لذلك التشريع[2].

وافتُتحت سورة (الأحزاب) بهذا النداء الكريم لسيّد الخلْق ﷺ وبهذا الوصف الكريم، وهو: الوصف بالنبوّة، فلم يقل له: (يا محمّد)؛ تنويهاً بفضله وتشريفاً وتعظيماً، وتقريراً لنبوّته؛ ولأنّ مواجهة العظماء بأسمائهم في النداء لا تليق بخلاف الإخبار عنهم، لذلك فإنّ تصريحَه باسمه في الإخبار عنه أحياناً، كما في قوله ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ ﴾[3]، ونحوه؛ ليعلَم الناس بأَنّ صاحب ذلك الاسم هو رسول اللّه، وتلقينٌ لهم بأَنْ يُسمُّوه بذلك ويدْعوه به، فإنّ عِلْم أسمائه مِن الإيمان؛ لئلّا يلتبس بغيره[4].

قال العزّ بن عبد السلام: "ولا يخفى على أحَدٍ أنَّ السيِّد إذا دعا أحد عبيده بأفضل ما وُجد فيهم من الأوصافِ العليّة والأخلاق السَّنِيّة، ودعا الآخرين بأسمائهم الأعلام التي لا تُشعر بوصْفٍ من الأوصاف، ولا بخُلُقٍ من الأخلاق، أنَّ منزلةَ مَن دعاه بأفضل الأسماء والأوصاف أعزُّ عليه، وأقرب إليه مِمّن دعاه باسمه العَلَم، وهذا معلومٌ بالعُرْف أنَّ مَنْ دُعِي بأفضل أسمائه وأخلاقه وأوصافه كان ذلك مبالغةً في تعظيمه واحترامه"[5].

---

[1] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (21/ 249).

[2] انظر، **المرجع السابق**، (21/ 249).

[3] [الفتح: 29]

[4] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (3/ 518)، وابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت: 1224هـ): **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، 1419هـ)، (4/ 403)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (21/ 250).

[5] العز: **مُنْيَة السُّول**، (22).

وهذا النداء العلويّ الجليل فيه أمرٌ ونهيٌ للنبيّ ﷺ، أمرٌ بتقوى الله ﷻ، ونهيٌ عن طاعة الكفار وأهل النفاق.

يقول الحقّ ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، أي: المُشرَّف حالاً، المفخَّم قدْراً، العليّ رتبةً. أو المعنى: يا أَيُّها المخبِرُ عنّا، المأمون على وحْينا، المبلِّغ خطابنا إلى أحبابنا[1].

وقد أمره ﷻ بالتقوى؛ تفخيماً وتعظيماً لشأن التقوى، فقال له: ﴿ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾، أي: اتَّقِ اللّهَ بطاعته، وأداء فرائضه، وواجبِ حقوقه عليك، والانتهاءِ عن محارمه، وانتهاكِ حدوده[2].

فإنْ قال قائل: ما الفائدة في أمْر الله ﷻ رسولَه ﷺ بالتقوى، وهو سيِّد المتَّقين على الإطلاق؟! ومعلومٌ أنّ الأمر بالشّيء لا يكون إلّا عند عدم اشتغال المأمور بالمأمور به؛ إذ لا يصلُح أَنْ يقال للجالس: (اجلِسْ)، وللسّاكت: (اسكُت)؟

والجواب من وجوه[3]:

أحدها: أنّ المراد بذلك استدامة ما هو عليه.

والثاني: الإكثار ممّا هو فيه، فإنّ النّبيّ ﷺ كان في كلّ لحظة يزداد عِلمه ومرتبته وتقواه واستغفاره، وتتجدّد له هذه المقامات، حتى كان حاله فيما مضى بالنّسبة إلى ما هو فيه تركاً للأَفضل، فكان له في كلّ ساعة تقوى متجدِّدة.

والثالث: أنه خطابٌ وُجِهَ به في الظَّاهر، والمراد به: أُمَّتُه؛ لأنّ القرآن الكريم نزَل عليه بمذاهب العرب كلّهم، وهم قد يخاطِبون الرجلَ بالشيء ويُريدون غيره، ولذلك يقول متمثِّلهم: (إيّاك أعني واسمعي يا جارة)، وممّا يدلّ على ذلك أنه قال بعدها: ﴿بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾[4]، ولم يقل: (بما تعمل خبيراً)[5]، ونظير هذا الخطاب قوله ﷻ:﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ

---

[1] انظر، النسفي: **مدارك التنزيل**، (3/ 14)، وابن عجيبة: **البحر المديد**، (4/ 403)، والقِنَّوجي، أبو الطيب محمد صِدِّيق خان بن علي الحسيني (ت: 1307هـ): **فتح البيان**، (بيروت، صيدا، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ – 1992م)، (11/ 41).

[2] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (20/ 202).

[3] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (3/ 446).

[4] [الأحزاب: 2]

[5] انظر، ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ): **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية)، (167).

لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾[1]، وقوله أيضاً: ﴿ وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ ﴾[2]، ومِثْل هذا الخطاب معتاد؛ فإنّ السُّلطان الكبير إذا كان له أَمير، وكان تحت راية ذلك الأمير جمْع، فإذا أَراد أَنْ يأمر الرَّعيّة بأمر مخصوص، فإنّه لا يوجّه خطابه عليهم، بل يوجِّه ذلك الخطاب على ذلك الأَمير الذي جعله أَميراً عليهم؛ ليكون ذلك أَقوى تأْثيراً في قلوبهم[3].

ومِن الذين رجّحوا القول الثالث ابن قتيبة[4]، وشيخ المفسرين الطبري[5].

وعليه فهذا أمرٌ إلهيٌّ للنبيّ المعصوم ﷺ، وفيه تنبيهٌ للعصاة غير المعصومين مِن أمثالنا، أي: يا أيُّها الناس تبعاً لنبيّكم وما أُمِر به رسولُكم اتقوا اللهَ ولا تُطيعوا الكافرين والمنافقين، فهؤلاء الكافرون والمنافقون إيّاكم وإيّاهم[6]، ويؤكد هذا المعنى الحافظ ابن كثير بقوله: "هذا تنبيهٌ بالأَعلى على الأَدنى، فإنّه تعالى إذا كان يأمر عبْده ورسوله بهذا، فلأنْ يأْتمر منْ دُونه بذلك بطريق الأَولى والأَحرى"[7].

وعلى كلّ تقديرٍ فلا يلزم تلبّسه ﷺ بشيءٍ مِنْ ذلك، كقوله ﷻ على لسان موسى عليه السلام:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾[8]،[9].

وأميل إلى القول الأول، –وعليه درج غالب المفسرين–، كالزّجّاج[10]، والرازي[11]، والزمخشري[12]،

---

[1] [الزمر: 65]

[2] [المائدة: 116]

[3] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (17/ 300).

[4] انظر، ابن قتيبة: **تأويل مشكل القرآن**، (167).

[5] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (3/ 191).

[6] انظر، الكتاني، محمد المنتصر بالله الزمزمي الإدريسي الحسني (ت: 1419 هـ): **تفسير القرآن الكريم**، (بلا معلومات نشر)، (192/ 2).

[7] ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (6/ 375).

[8] [الأعراف: 142]

[9] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 264).

[10] انظر، الزجاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ): **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت، عالم الكتب، ط1 – 1408هـ – 1988م)، (4/ 213).

[11] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (25/ 153).

[12] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (3/ 519).

والنسفي[1]، والخازن[2]، وابن عطية[3]، والبغوي[4]، والبيضاوي[5]، وغيرهم.

ولمّا ناداه ﷻ بوصف النبوّة المقتضي للانبساط، أمره بالخوف[6] فقال: ﴿ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾، وفي إيراد هذا النهي بعد الأمر بتقوى الله ﷻ إشارة إلى ما كان يبذله هؤلاء الكافرون والمنافقون مِن جهود عنيفة؛ لزحزحة النبيّ ﷺ عمّا هو عليه مِن حَقّ، ولصَرْفه عن دعوتهم إلى الإسلام[7].

والمعنى[8]: ولا تُطع الكافرين المجاهرين بالكُفر الذين يقولون لك: (اطرُد عنكَ أتباعَك من ضعفاء المؤمنين بكَ؛ حتى نجالسك)، وكذلك المنافقين الذين يُظهِرون لك الإيمانَ بالله والنصيحةَ لك، وهم لا يألونك وأصحابك ودِينك خبالاً[9]، فلا تقبَل منهم رأياً، ولا تستشِرْهم مستنصحاً بهم؛ فإنّهم لكَ أعداء.

وخُصّ الكافرون والمنافقون بالذِّكر هنا مع أَنّ النّبيّ ﷺ ينبغي أَنْ لا يُطيع أَحداً غير الله؛ لوجهين[10]:

أحدهما: أَنَّ ذِكر الغير لا حاجة إليه؛ لأَنّ غيرهما لا يَطلب مِن النّبيّ ﷺ الاتّباع، ولا يَتوقّع أَنْ يَصِير النبيّ ﷺ مطيعاً له.

والثاني: ليشمل مَن هو مُعلِنٌ كفْره، أو مَن هو متستِّرٌ باسم الإسلام وهو مبطِنٌ للكفر، ففي نهيه هنا مَنعٌ مِنْ طاعة الكلّ؛ لأنّ كلّ مَنْ طلَب مِنَ النبِيّ ﷺ طاعته فهو كافر أو منافق؛ لأنّ مَنْ يأمر النبيّ ﷺ بأَمْرٍ أَمْرَ إيجابٍ مُعتقداً على أنّه لو لم يفعلهُ يعاقبُه بحقّ يكون كافرًا.

---

[1] انظر، النسفي: **مدارك التنزيل**، (3/ 14).

[2] انظر، الخازن: **لباب التأويل**، (3/ 408).

[3] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (4/ 367).

[4] انظر، البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: 516هـ): **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 1420هـ)، (3/ 606).

[5] انظر، البيضاوي: **أنوار التنزيل**، (4/ 224).

[6] انظر، البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت: 885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي)، (15/ 275).

[7] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (11/ 170).

[8] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (20/ 202)، والزمخشري: **الكشاف**، (3/ 519).

[9] "الخبال: الفساد وذهاب الشيء". الزجّاج: **معاني القرآن**، (2/ 451).

[10] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (25/ 154).

ثم قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١﴾، يقول النَّحّاس في هذا التذييل: ودلّ بقوله هذا أنه إنما كان يَميل إليهم استدعاءً لهم إلى الإسلام، أي: لو عَلِم الله ﷻ أنّ مَيلك إليهم فيه منفعة لمَا نهاك عنه؛ لأنه حكيم[1].

ولا يخفى بُعد هذه الدلالة التي ذكرها النَّحّاس، والصحيح أنّ هذه الجملة تعليلٌ للأمر والنهي، والمعنى: أنه لا يأمرك أو ينهاك إلاّ بما علِم فيه صلاحاً أو فساداً؛ لكثرة عِلْمه، وسعة حكمته[2]، ويفسّر الزّجّاج ذلك بقوله: "أي: كان عليماً بما يكون قبل كونه، حكيماً فيما يخلقه قبل خَلْقه"[3].

ثُمّ أمره ﷺ باتّباع ما يوحَى إليه في كلّ ما يأتي ويذَر مِن أمور الدّين، والاقتصار على ذلك، فقال ﷻ: ﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ يعني: القرآن والسّنّة[4].

وفي هذا زجرٌ عن اتّباع مراسم الجاهليّة، وأمرٌ بجهادهم ومنابذتهم، وفيه دليل على ترك اتّباعِ الآراء البحتة مع وجود النصّ؛ فإنّ فيما أُوحِيَ إليه ﷺ مَا يُغنِينا عن ذلك، والخطاب له ولأمّته مِن بعده، فهم مأمورون بِاتّباع القرآن، كما هو مأمور باتّباعه[5].

قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝٢﴾، وهذه الجملة تعليلٌ لأَمْره باتّباع ما أُوحِيَ إليه، وقوله: ﴿ خَبِيرًا ﴾ أي: أنّه ذو خبرة، لا يَخفَى عليه من ذلك شيء، وهو مُجازيكم على ذلك بما وعَدكم مِن الجزاء[6].

ثُمّ أمره ﷺ بالتوكّل عليه، فقال: ﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٣ ﴾[7]، أي: وفوِّضْ إلى الله أَمْرَك –يا رسول الله–، وثِقْ به[8]، و"(الوكيل): القائم بالأمر، المغنِي فيه عن كلّ شيء"[9].

---

[1] انظر، النحاس، أحمد بن محمد المرادي (ت: 338هـ): **إعراب القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1 – 1421هـ)، (3/ 206).

[2] انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، (4/ 300).

[3] الزجاج: **معاني القرآن**، (3/ 33).

[4] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (6/ 375).

[5] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 114).

[6] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (20/ 202).

[7] [الأحزاب: 3]

[8] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (20/ 203).

[9] ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (4/ 367).

قال السّعدي معلِّقاً: فهناك لا تسألْ عن كلّ أمرٍ يتيسّر، وصعبٍ يسهُل، وخطوبٍ تهون، وكروبٍ تزول، وحوائج تُقضَى، وبركاتٍ تنزل، ونقمٍ تُدفَع، وشرورٍ تُرفَع، وهناك ترى العبدَ الضعيفَ الذي فوَّض أمْرَه لسيّده، قد قام بأمورٍ لا تقوم بها أُمّةٌ من الناس، وقد سهّل الله ﷻ عليه ما كان يصعب على فحول الرجال، وبالله المستعان[1].

والذي أرجّحه أنّ الباء هنا غير زائدة؛ بل هي متعلّقة ب(كفى) بمعنى الأمر، وإنْ كان لفظُه لفظَ الخبر، والمعنى: (اكتفِ بالله وكيلاً)[2].

وجاء الإظهار في لفظ الجلالة مقام الإضمار؛ لتعليلِ الحُكم، وتأكيدِ استقلالِ الاعتراض[3]، وللتعظيم[4].

"وهذه العناصر الثلاثة: تقوى الله، واتباعُ وحيِه، والتوكُّل عليه مع مخالفة الكافرين والمنافقين هي العناصر التي تزوِّد الداعية بالرّصيد، وتقيم الدعوة على منهجِها الواضح الخالص، مِن الله، وإلى الله، وعلى الله"[5].

وكلّ هذا ديباجةٌ وتمهيدٌ لمَا أوحَى الله ﷻ به على رسوله ﷺ في هذه السورة من غزوة الخندق، وما حصل فيها من إذلال عدوّ الله، ونصْر رسول الله ﷺ وأتباعه[6].

وفي خطاب الله لنبيّه ﷺ في مطلع سورة (الأحزاب) فوائد وأحكام كثيرة، منها[7]:

الأولى: وجوب تقوى الله بفعْل المأمور به وترْك المنهيّ عنه.

والثانية: حرمة طاعة الكافرين والمنافقين فيما يقترحون أو يُهدِّدون مِن أجله.

والثالثة: وجوب اتباع الكتاب والسُّنّة، والتوكّل على الله وحده.

---

[1] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (657).

[2] انظر، الزجاج: **معاني القرآن**، (4/ 213)، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، (4/ 367).

[3] انظر، أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، (7/ 108).

[4] انظر، الآلوسي: **روح المعاني**، (11/ 143).

[5] قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ): **في ظلال القرآن**، (القاهرة، بيروت، دار الشروق، ط17 – 1412هـ)، (5/ 2823).

[6] انظر، الكتاني: **تفسير القرآن الكريم**، (192/ 4).

[7] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (4/ 240).

والرابعة: كثرة التوجيهات والإرشادات من الله ﷻ لنبيّه ﷺ إلى أفضل الأحكام، وأقوم الآداب، وأهدى السُّبل، وهذه التوجيهات نراها في كثيرٍ من آيات سورة الأحزاب لا سيّما الآيات التي نادت الرسول ﷺ بوصف النبوّة، ومن ذلك هذا النداء الذي في مطلعها[1].

وقد تبين من خلال استقرائي للنداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ أنّ سورة (الأحزاب) هي أكثر سورة قرآنية اشتملت على نداءات له ﷺ، حيث بلغت خمسة نداءات؛ وذلك لأن الغرض الأساس من سَوق هذه السورة بيان أحوال النبي محمد ﷺ، كتحديد واجبات رسالته نحو ربّه، والتنويه بمقام أزواجه، وبيان أحكام نكاحه لأزواجه، مع ذِكر آداب بيت النبوّة.

المطلب السادس: نداء النُّصح للنّبيّ محمد ﷺ

قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩﴾[2].

هذا هو النداء الثاني في سورة (الأحزاب)، فإنّ النداء الأوّل متعلّقٌ بذاته، وهذا النداء متعلّقٌ بأزواجه، وتُسمّى هذه الآية التي تَصدّرها النداء (آية التخيير).

ومجمل سبب نزول (آية التخيير):

أَنَّ أزواجه ﷺ وهنّ خير النساء تَغايَرْن، وأَرَدْن زيادةً في كِسوة ونفقة، فآلى رسولُ الله ﷺ أَنْ لا يقرَبهنّ شهراً، وصَعِد إلى غرفة له فمكث فيها، فنزلت هذه الآية، فعَرَض الآية عليهنّ، فبدأ بعائشة رضي الله عنها، وكانت أَحبَّهنّ إليه، فاختارت اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة، وهذه منقبةٌ عظيمةٌ

---

[1] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (11/ 166).

[2] [الأحزاب: 28-29]

وفضيلةٌ كبيرةٌ لعائشة، تُبيِّن كمال عقْلها، وصحّة رأيها مع صغر سنّها، فرُئيَ الفرحُ في وجْه رسول الله ﷺ[1].

ثُمّ اختار جميع أزواجه ﷺ اختيارَها، فلمّا اخترْنه أثابهنّ الله ﷻ ثلاثة أشياء[2]:

الأوّل: التفضيل على سائر النساء بقوله ﷻ: ﴿ يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ﴿٣٢﴾ ﴾[3].

والثاني: أنْ جَعَلَهُنَّ أُمَّهات المؤمنين بقوله ﷻ: ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ ﴾[4].

والثالث: أنْ حظَر عليه طلاقَهنّ والاستبدال بهنّ بقوله ﷻ: ﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾ ﴾[5].

وفي ما خيَّرهنَّ فيه ﷺ قولان[6]:

أحدهما: أنه خيَّرهن بين الطلاق والمقام معه، وهذا قول عائشة رضي الله عنها، فقد قالت: "قَدْ خَيَّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ نَعُدَّهُ طَلَاقًا"[7].

والثاني: أنه خيَّرهنَّ بين اختيار الدنيا فيفارقهنّ، أو اختيار الآخرة فيُمسِكهنّ، ولم يخيِّرهنّ في الطلاق، قاله الحسن، وقتادة.

---

[1] الحديث بطوله متفق عليه. انظر، البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3 – 1407هـ – 1987م)، كتاب المظالم والغصْب، باب الغرفة والعُلِّيَّة المُشرِفة وغير المُشْرِفة في السُّطوح وغيرها، حديث رقم (2468)، (3/ 135)، بلفظ: "آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً، وكانت انفكت قدمه، فجلس في علية له، فجاء عمر فقال: أطلقت نساءك؟ قال: «لا، ولكني آليت منهن شهراً، فمكث تسعاً وعشرين، ثم نزل، فدخل على نسائه"، ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الطلاق، بابٌ في الإيلاء، واعتِزال النساء، وتخييرهنّ وقوله تعالى: ﴿ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾ [التحريم: 4]، حديث رقم (1478)، (1479).

[2] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (3/ 460).

[3] [الأحزاب: 32]

[4] [الأحزاب: 6]

[5] [الأحزاب: 52]

[6] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (3/ 460).

[7] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الطلاق، باب مَن خيّر نساءه، حديث رقم (5262)، (7/ 43)، ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الطلاق، باب بيان أنَّ تخيير امرأته لا يكون طلاقًا إلَّا بالنيّة، حديث رقم (1477)، (2/ 1093). واللفظ له.

ويرى القرطبي أنّ القول الأوّل أَصح؛ لحديث عائشة، ولم يثبت عن رسول اللّه ﷺ إلَّا التخيير المأمور بين البقاء والطّلاق[1].

وأرى أنّ الذي ذهب إليه القرطبي هو الصواب؛ وذلك لموافقته الدليل الصحيح الصريح.

وفي سبب تخييره إيّاهنّ ثلاثة أقوال[2]:

أحدها: أنّهنّ سألنَه زيادة النّفقة.

والثاني: أنّهنّ آذَينه بالغَيرة.

والثالث: أنه لمَّا خُيِّر بين مُلك الدنيا ونعيم الآخرة فاختار الآخرة، أُمِر بتخيير نسائه؛ لِيكنَّ على مِثْل حالِه.

والذي أرجّحه القول الأوّل؛ لثبوت ذلك بالدليل الصحيح.

ويُلحظ أنّ الله ﷻ نادى نبيَّه ﷺ بعنوان النبوّة بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾، ثُمّ قال بعد ذلك: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾[3]؛ وما ذلك إلاّ لمنزلته ومقامه وقدْره عنده ﷻ، فهو سيِّد الأنبياء وإمامهم[4].

ولمّا كان شأن هذه السيرة يشقّ على غالب الناس وخاصة النساء أمَر اللهُ رسولَه ﷺ أنْ ينبئ أزواجه بها ويخيِّرهنّ عن السير عليها تبعاً لحاله وبين أنْ يفارقهنّ، لذا فإنّ افتتاح هذه الأحكام بنداء النبيّ ﷺ بقوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ تنبيه على أن ما سيُذكَر بعد النداء له مزيد اختصاص به وهو: غرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرةً تناسب مرتبة النبوّة ومقام الرسالة[5].

وقد تضمّنت (آية التخيير) فوائد كثيرة[6]:

منها: كمال أزواج النبيّ ﷺ، وإظهار رفعتهنّ، وعُلُوّ درجتهنّ، وزيادة أجْرهن، حيث اخترْن اللهَ ورسولَه والدارَ الآخرة عن الدنيا وزينتها؛ لذا ناداهنّ الله ﷻ بعنوان ﴿ نِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ﴾؛ إعلاناً عن شرَفهنّ وكمالهنّ بعد اختيارهنّ الرسولَ ﷺ مع شظف العيش.

---

[1] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 170).

[2] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (3/ 460).

[3] [الأحزاب: 30]

[4] انظر، الكتاني: **تفسير القرآن الكريم**، (199/ 8).

[5] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (21/ 315).

[6] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (662)، والجزائري: **أيسر التفاسير**، (4/ 264).

ومنها: ظهور المناسبة بينه وبينهنّ، فإنه أكمَل الخلْق، وأراد المولى ﷻ أنْ تكون نساؤه كاملاتٍ مكمَّلات، طيِّبات مطيَّبات، فقال ﷻ: ﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَۖ لَهُم مَّغۡفِرَةٌ وَرِزۡقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾[1].

ومنها: مشروعية المُتعة بعد الطلاق.

ومنها: وجوب الإحسان –العامّ والخاصّ–، الخاصّ بالزوج والزوجة، والعامّ في طاعة الله واتباع ورسوله.

ويعلّل السعدي وجْه ذِكْر وصف المحسِنات في آية (التخيير) بقوله: "رتّب الأجر على وصفهنّ بالإحسان، لأنه السبب الموجِب لذلك، لا لكونهن زوجات للرسول، فإن مجرد ذلك لا يكفي، بل لا يفيد شيئًا، مع عدم الإحسان"[2].

ومنها: بيان أنّ سيّئة العالِم الشريف أسوأ مِن سيّئة الجاهل الوضيع، ولذا قالوا: "سيئات الأبرار حسنات المقرَّبين"[3]، كمَثلٍ مِن الأمثال السائرة للعِظَة والاعتبار.

وعليه أرى أنّ أجر إحسان القدوة مضاعَف وكذلك إساءته؛ فإنَّ النقطة السوداء في الثوب الناصع البياض ليست كتلك التي في الثوب الأسود أصلاً.

ومنها: "الإشارة إلى أنّ حبّ الدنيا وزينتها يكون سبباً لمفارقة رسول الله ﷺ، والبُعد عن حضرته الشريفة، وأنّ محبته ﷺ تكون سبباً للأجر العظيم"[4].

ومنها: الدلالة على أنّ التخيير والطلاق المُعلَّقين على شرط صحيحان، فيُنفَذان ويَمضيان؛ وذلك لأنّ الله علّق التخيير على شرط كما في قوله ﷻ: ﴿ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا ﴾[5].

ومن الفوائد أيضاً –كما أرى– استشارة أهل العِلْم في القضايا العِلْمية والتشريعية؛ فقد أشار الرسول ﷺ على أمّنا عائشة رضي الله عنها باستشارة أَبَوَيها في قضية التخيير، بل إنّ الله ﷻ أمر بها رسوله محمداً ﷺ فقال مخاطباً له: ﴿ وَشَاوِرۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِۖ ﴾[6]، فإذا أُمر بها النبي ﷺ مع أنه صاحب أزكى عقْلٍ عرفتْه البشريّة، فكيف يستغني عنها غيره؟

---

[1] [النور: 26]

[2] السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (663)، وانظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (21/ 317).

[3] الغزّالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ): **إحياء علوم الدين**، (بيروت، دار المعرفة)، (2/ 305 – 306).

[4] الآلوسي: **روح المعاني**، (11/ 275).

[5] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 170).

[6] [آل عمران: 159]

المطلب السابع: نداء إعلان الوظيفة الأساسية للرسول ﷺ

قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾[1].

هذا هو النداء الثالث للنبيّ محمد ﷺ في سورة (الأحزاب)، فإنّ اللّه ﷻ لمّا أبلغه بالنّداء الأوّل ما هو متعلّق بذاته، وبالنداء الثاني ما هو متعلّق بأزواجه وما تخلّل ذلك من التّكليف والتّذكير، ناداه هنا بأوصاف أوْدعها ﷻ فيه؛ للتنويه بشأنه، وزيادة رفعة مقداره، وبيَّن له أركان رسالته، فهذا الغرض هو: وصْف تعلُّقات رسالته بأَحوال أُمّته وأحوال الأُمم السّالفة[2].

ويظهر أنَّ سورة الأحزاب فيها تأديبٌ للنّبيِّ ﷺ مِنْ ربّه، فقد أدّب الله ﷻ فيها نبيَّه بمكارم الأخلاق، فابتدأ بمَا ينبغي أنْ يكون عليه مع ربّه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾[3]، وثنّى بتذكيره بحُسْن معاملة أزواجه بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ ﴾[4]، وثلَّث بذِكْر معاملته لأُمّته ولعامَّةِ الخلْقِ بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا ﴾[5]، ويوضّح الإمام القرطبي ذلك، فيقول: "هذه الآية فيها تأنيسٌ للنّبيّ ﷺ وللمؤمنين، وتكريمٌ لجميعهم"[6].

ويلاحَظ أنّ هذه الآية الكريمة تَضمّنت خمسة أوصاف للنبيّ ﷺ، وهذه الأوصاف هي المقصود من رسالته وزبدتها وأصولها، وتنطوي كذلك على مجامع الرسالة المحمّديّة، فلذلك اقتَصر عليها مِنْ بين أَوصافه الكثيرة، وهذه الأوصاف هي[7]:

الوصف الأول: (الشاهد)، أي: على أُمّتك بالتبليغ إليهم، وعلى سائر الأُمَم في تبليغ أنبيائهم ونحو ذلك، كما قال ﷻ:﴿ فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ۝٤١ ﴾[8].

---

[1] [الأحزاب: 45-46]

[2] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 52).

[3] [الأحزاب: 1]

[4] [الأحزاب: 28]

[5] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (25/ 173)، والمراغي: **تفسير المراغي**، (22/ 21).

[6] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 200).

[7] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (667).

[8] [النساء: 41]

والوصف الثاني: (المُبَشِّر)، أي: "للمؤمنين برحمة الله تعالى وبالجنّة"[1].

وقُدِّم التبشير على الإنذار؛ وذلك لشرَف المبشِّرين، وكذلك لأنّه المقصود الأصليّ في رسالته؛ إذ هو ﷺ رحمةٌ للعالمين، وأيضاً لكثرة عدد المؤمنين في أُمّته، وكأنه لهذا جبَر ما فاته من المبالغة بقوله ﷻ: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلاً كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾[2]،[3].

والوصف الثالث: (النذير)، ومعناه: مُنذِرٌ للعصاة والمكذّبين مِن جهنم وعذاب الخلد[4].

والنّذير: مشتقّ مِن الإنذار، وهو الإخبار بحلول حادث مسيء أَو قُرْب حلوله، والنبيّ ﷺ مُنذِرٌ للّذين يخالفون عن دينه مِن كافرين به ومِن عاصين بمتفاوِت مؤاخذتهم على عملهم[5].

ويلاحَظ هنا أنّه قد جيء في جانب النِّذارة بصيغة فعيلٍ على صيغة المبالغة دُون اسْم الفاعل (ومنذِراً) مع أنّ ظاهر عطفه على ﴿وَمُبَشِّرًا﴾ يقتضي ذلك؛ وذلك لعموم الإنذار وخصوص التبشير، وأيضاً لإرادة الاسْم؛ فإنّ (النَّذِيرَ) في كلامهم اسْم للمخبِر بحلول العدُوّ بديار القوم، فالوصف بنذيرٍ تمثيلٌ بحال نذير القوم، كما قال ﷻ: ﴿ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ ﴾[6]؛ وذلك للإيماء إلى تحقيق ما أَنذرهم بهِ حتى كأَنه قد حلّ بهم، وكأنّ المُخبِر عنه مخبِرٌ عن أَمر قد وقع، وهذا لا يؤدّيه إلَّا اسم (النّذير)، ولذلك كثُر في القرآن الوصْف بالنّذير، وقلّ الوصف بمنذِر[7].

والوصف الرابع: (الداعي إلى الله)، "والدعاء إلى الله تعالى: هو تبليغ التوحيد والأخذُ به، ومكافحة الكفَرَة"[8].

وأصْل دعاه إلى فلانٍ: أنّه دعاه إلى الحضور عنده، يقال: (ادْعُ فلانًا إليّ)، ولمّا عُلِم أنّ اللَّهَ ﷻ منزّهٌ عن جهة يَحضُرها الناس عنده، تعيَّن أنّ معنى الدّعاء إليه: الدُّعاء إلى ترْك الاعتراف بغيره[9].

---

[1] ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (4/ 389).

[2] [الأحزاب: 47]

[3] انظر، الآلوسي: **روح المعاني**، (11/ 222)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 53).

[4] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (4/ 389).

[5] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 53).

[6] [سبأ: 46]

[7] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 53).

[8] ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (4/ 389).

[9] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 54).

يقول صاحب الظلال: "﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ﴾ لا إلى دنيا، ولا إلى مجْد، ولا إلى عزّة قوميّة، ولا إلى عصبيّة جاهليّة، ولا إلى مَغْنم، ولا إلى سلطان أو جاه، ولكنْ داعياً إلى الله في طريق واحد، يصِل إلى الله بإذنه"[1].

والتعبير القرآني هنا قد قيّد الدعوة بالإذن؛ إيذاناً بأنها أمرٌ صعبٌ لا يُستطاع إلّا بمعونةٍ مِن جَناب قُدسه، كيف لا وهو صرفٌ للوجوه عن القِبَل المعبودة، وإدخالٌ للأعناق في قلادةٍ غير معهودة[2]، وكذلك لبيان أنه ﷺ لم يدْعُ الناسَ إلى ما دعاهم إليه من وجوب إخلاص العبادة له ﷻ مِن تلقاء نفسه، وإنما دعاهم إلى ذلك بأمر الله ﷻ وإذنه، وللإشارة إلى أنّ هذه الدعوة لا تُؤتي ثمارَها المرجوّة منها إلاّ إذا صاحبَها إذْنُ الله ﷻ للنفوس بقبولها[3].

والوصف الخامس: (السراج المنير)، وهو تشبيهٌ بليغ، حُذِف منه وجْه الشبَه وأداةُ التشبيه، والمعنى: أنتَ يا محمّد كالسراج المضيء في الهداية والإرشاد، وهذا الوصف يشمل ما جاء به النبي ﷺ من البيان وإيضاح الاستدلال وانقشاع ما كان قبله في الأديان من مسالك للتبديل والتحريف فشمل ما في الشريعة من أصول الاستنباط والتفقه في الدين والعلم؛ فإن العلم يُشَبَّهُ بالنور فناسبه السراج المنير[4].

ومن الملاحَظ أنّ هذَا الوصف شامل لجميع الأوصاف التي وصف بها ﷺ آنفا فهو كالخلاصة وكالتذييل[5].

ولعلّ وصْف السِّراج بالإنارة؛ لأنّ من السُّرُج ما لا يُضيء إذا قَلّ زيتُه ودقّت فتيلتُه، وأيضاً لإفادة قوّةِ معنى الاسم في الموصوف به الخاصّ؛ فإنّ هُداه ﷺ هو أَوضح الهُدى، وإرشاده أَبلَغ إرشاد[6].

---

[1] قطب: **في ظلال القرآن**، (5/ 2872).

[2] انظر، البيضاوي: **أنوار التنزيل**، (4/ 234)، والآلوسي: **روح المعاني**، (11/ 222).

[3] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (11/ 223).

[4] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 54-55)، والزحيلي: **التفسير المنير**، (22/ 45).

[5] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 55).

[6] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (3/ 546)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 201)، والخازن: **لباب التأويل**، (3/ 430).

وشُبّه ﷺ بالسّراج لا بالشمس التي هي أشدُّ إضاءةً من السِّراج؛ لأنّ ضوء الشمس يبهِر العين، وأمّا ضوء السِّراج فترتاح له الأعين، وأيضاً فإنّ نُور الشمس لا يمكِن أنْ يُؤخَذ منه شيءٌ بخلاف نور السّراج، فإنه يؤخذ منه أنوارٌ كثيرة، فإذا انطفأ الأوّل يبقى الّذي أُخِذ منه، وكذلك إنْ غاب، والنّبي ﷺ كان كذلك؛ إذْ كلّ صحابيٍّ أَخَذَ منه نُورَ الهداية[1].

وأرى أنّ الله ﷻ قد جمَع لرسوله محمدٍ ﷺ في هذا النداء الجليل بين صفتي الشمس والقمر، حيث أخَذ من الشمس السِّراج، فإنّ الشمس سراجٌ وهّاج، كما قال ﷻ: ﴿وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣﴾[2]، والسراج فيه نور وفيه نار، وأخذ من القمر الإنارة من غير احتراق، وإنما هو نورٌ يعكِس بقدرة الله ﷻ ضوء الشمس؛ لذلك قال الله ﷻ: ﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ٦١﴾[3]، وعليه فالإمام الأعظم والنبي الأكرم ﷺ قد سمّاه ربُّه ﷻ (سراجاً) من الشمس، وسمّاه (منيراً) من القمر فصلوات الله وسلامه عليه.

وتضمّن نداء الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة فوائد كثيرة، منها[4]:

الأولى: بيان الكمال المحمّدي الذي وهَبَه إيّاه ربّه ﷻ.

الثانية: مشروعية الدعوة إلى الله ﷻ إذا كان الداعي متأهّلاً بالعِلْم والحِلم، وهما (الإذن).

المطلب الثامن: نداء التشريع في أحكام زواج الرسول محمد ﷺ

قوله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠﴾[5].

---

[1] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (25/ 174).

[2] [النبأ: 13]

[3] [الفرقان: 61]

[4] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (4/ 278).

[5] [الأحزاب: 50]

هذا هو النداء الرابع في سورة (الأحزاب)، خُوطب به النبيّ محمد ﷺ في شأنٍ خاصٍّ به، هو: بيانُ ما أَحَلَّ له من النساء.

وإنّ مِن جملة خصائصه ﷺ أنّ اللّه ﷻ قد خصّه في أحكام الشريعة بمعان لم يشاركه فيها أحد في باب الفرض والتحريم والتحليل، مزيّة على الأمة، وهيبة له، ومرتبة خصّ بها؛ ففرضت عليه أشياء، وما فرضت على غيره، كقيام الليل مثلاً، وحُرّمت عليه أشياء وأفعال لم تحرم عليهم، كحرمة الصدقة، وأبيحت له أمور لم تُبَحْ للأمّة كنكاح الواهبة دون مهر[1].

وهذا النداء الكريم لرسول ربّ العالمين ﷺ يحمِل له إجازةً ربانيّةً، تخفّف عنه أتعابَه التي يُعانيها، فلقد عَلِم ﷻ ما يعاني رسولُه، وما يعالج من أمور الدِّين والدّنيا، فمَنَّ عليه بالتخفيف ورفْع الحرج، فقال ممتنّاً عليه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾[2].

ويتضح أنّ المقصود بالإحلال هنا: الإذْن العامّ، والتوسعة على الرسول ﷺ في الزواج من هذه الأصناف، والإباحة له في أنْ يختار منهنّ مَن تقتضي الحكمةُ الزواجَ منها، واختصاصه ﷺ بأمورٍ تتعلّق بالنكاح، لا تحلّ لأحدٍ سواه[3].

ويلاحَظ أنّه قد جاء في الآية الكريمة عدّة قيود، ما أُريد بواحدٍ منها إلاّ التنبيه على الحالة الكريمة الفاضلة، ومنها[4]:

الأوّل: وصْف النبيّ ﷺ باللاتي آتَى أجورهنّ.

والثاني: تخصيص المملوكات بأَنْ يكُنّ مِن الفيء.

والثالث: تقييد الهجرة في قوله ﷻ: ﴿ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ ﴾، ولا شكّ في أنّ مَن هاجرَت معه ﷺ أولَى بشرَف زوجيّته ممّن عداها، فمن لم يُهاجر لم يكمُل، ومن لم يكمُل لم يصلُح للنبي ﷺ الذي كمُل وشرُف وعظُم.

---

[1] ذكر هذه الخصائص ابن العربي. انظر، ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت: 543هـ): **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3 – 1424هـ – 2003م)، (3/ 597)، وتابعه عليها القرطبي. انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 211).

[2] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (4/ 281).

[3] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (11/ 230).

[4] انظر، السايس، محمد علي: **تفسير آيات الأحكام**، تحقيق: ناجي سويدان، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2002)، (639).

وسلَك النبيّ ﷺ في الأَخذ بهذه التّوسّعات التي رَفع الله ﷻ بها قدْره مسلك الكُمّل مِن عباده وهو أَكمَلهم، فلم ينتفع لنفْسه بشيء منها[1].

ثُمّ آنَس ﷻ جميع المؤمنين بغفرانه وواسع رحمته[2]، فقال: ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾، وهذه الجملة تذييلٌ لِمَا شرَعه ﷻ من الأَحكام للنبيّ ﷺ لا للجملة المعترضة، أَيْ: أنّ ما أردناه من نفي الحرج عنك هو مِن متعلّقات صفتي الغفران والرحمة اللتين هما من تعلّقات الإرادة والعلم فهما ناشئتان عن صفات الذات، فلذلك جعل اتصاف الله ﷻ بهما أَمْرًا مُتمكّنًا بما دلّ عليه فعل (كان) المشير إلى السابقية والرسوخ[3].

وفي خطاب الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ في هذا النداء العلويّ الجليل فوائد كثيرة، منها[4]:

أولاً: بيان إكرام الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺ في التخفيف عليه؛ رحمةً به.

ثانياً: تقرير أحكام النكاح للمؤمنين، وأنه لم يطرأ عليها نسخٌ بتخفيف ولا تشديد.

ثالثاً: بيان سعة رحمة الله ﷻ ومغفرته لعباده المؤمنين.

المطلب التاسع: النداء المتضمّن تشريع الحجاب

قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[5].

هذا النداء الخامس والأخير في سورة (الأحزاب)، وتسمّى هذه الآية المباركة التي تَصدّرها النداء (آية الحجاب).

وورد تسميتها بآية الحجاب في قول عمر بن الخطاب ﷺ: "قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ"[6].

---

[1] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 71).

[2] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 214).

[3] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 71-72).

[4] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (4/ 281).

[5] [الأحزاب: 59]

[6] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب ما جاء في القِبلة، ومَن لم ير الإعادة على مَن سها، فصلَّى إلى غير القِبلة، حديث رقم (402)، (1/ 89).

ويظهر أنّ لهذا النداء الربّاني الكريم تعلُّقاً بما قبله؛ وذلك أنه ﷻ لمّا فرَغ مِنَ الزَّجر لِمَنْ يُؤذي رسوله والمؤمنين والمؤمنات مِنْ عباده، أَمَر رسوله ﷺ بأَنْ يأمُر بعض مَنْ ناله الأذى ببعض ما يدفع مَا يقع عليه منه؛ لأَنّ مِنْ شأن المطالب السَّعي في تذليل وسائلها كما قال ﷻ: ﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ ﴾[1]، وهذا يرجِع إلى قاعدة التّعاون على إقامة المصالح وإماتة المفاسد[2].

وقد كانت المرأة من نساء المؤمنين قبل نزول هذه الآية تخرج للحاجة فيتعرض لها بعض الفُجّار يَظُنُّ أنها أَمَة، فتصيح به فيذهب، فشكوا ذلك إلى النبي ﷺ ونزلت الآية بسبب ذلك، وقد أمر الله رسوله ﷺ أَنْ يأْمُر النساء عموماً بإرخاء الجلابيب عليهن إذا أردن الخروج إلى حوائجهن، فيقع الفرق بينهن وبين الإماء، فتُعرف الحرائر بسترهن، فَيَكُفُّ الفُسّاقُ عن معارضتهن[3].

ويُلاحظ أنّ ربّ العزّة ﷻ لا يزال ينادي عبْده ﷺ بلقَبه الشريف المكرَّم؛ فقد خاطبه هنا بوصْف النبوّة، وهكذا منذ البداية وإلى ختم القرآن[4]، لذلك كان مِن حقوقه ﷺ على أُمَّته عدم مناداته باسمه، وكيف لا يخاطبونه بوصفه، والله ﷻ قد خَصَّه في المخاطبة بما يليق به، وأكرمه في مخاطبته إيّاه بما لم يُكرِم به أحداً مِن الأنبياء عليهم السلام قبْله؟!، فلم يدْعُه باسمه في القرآن الكريم قطّ[5].

ثمّ أمَر الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ أنْ يأمُر أزواجه وبناته ونساء المؤمنين عامّةً بالاحتشام في ملابسهنّ، والذي لا يحصُل ذلك إلاّ بالحجاب، فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ ﴾[6].

ويلاحَظ أنّ التعبير القرآني هنا قد خَصّ أُمَّهات المؤمنين وبنات رسول الله ﷺ بالذِّكْر؛ وذلك لشرفهنّ ورفعة قدْرهنّ، فهُنّ أَكمَل النّساء، فذِكْرهنّ مِنْ ذِكر بعض أَفراد العامّ؛ للاهتمام بِهِ،

[1] [الإسراء: 19]

[2] انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، (4/ 349)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 106).

[3] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 243).

[4] انظر، الكتاني: **تفسير القرآن الكريم**، (211/ 4).

[5] انظر، المقدم، محمد أحمد إسماعيل: **تفسير القرآن الكريم**، (بلا معلومات نشر)، (124/ 12).

[6] [الأحزاب: 59]

وكذلك لأنّ الآمرَ لغيره ينبغي أنْ يبدأ بأهله قبل غيرهم، كما قال ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾[1]،[2].

وليس المراد بالنساء هنا أَزواج المؤمنين، بل المراد: الإناث المؤمنات، وإضافته إلى المؤمنين على معنى (مِنْ) أي: النساء مِن المؤمنين[3].

وهذا الحُكم ليس خاصّاً بزوجات النبي ﷺ وحدهنّ، كما هو واضحٌ بمنطوق الآية ومفهومها أيضاً، وكيف يكون الحُكْم خاصًّاً بهنّ والله ﷻ يقول في الآية نفسها: ﴿وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾، ولذا فإنّ جميع المفسّرين على مرّ العصور يرَون أنّ هذه الآية –وإنْ كانت نزلت في أمّهات المؤمنين– إلاّ أنّ حُكْمها عامٌّ لسائر نساء المسلمين[4].

ويُستخلص من (آية الحجاب) عدّة فوائد، ومن ذلك:

الفائدة الأولى: أنّ الحجاب الشرعيّ مظهرٌ حضاريّ كريم، لا يعوق نشاط المرأة وإسهامها في كلّ عَمَلٍ حيويٍّ يفيد المجتمع والأُمّة[5].

والفائدة الثانية: كون سورة (الأحزاب) على رأس السُّوَر القرآنية التي اهتمَّتْ ببيان فضْل أُمَّهات المؤمنين وحقوقهنّ وواجباتهنّ وخصائصهنّ[6].

والفائدة الثالثة: "قول السبكي في طبقاته: إنّ أحمد بن عيسى من فقهاء الشافعية استنبط من هذه الآية أنّ ما يفعله العلماء والسّادات من تغيير لباسهم وعمائمهم أمْرٌ حسَن، وإنْ لم يفعلْه السلف؛ لأنّ فيه تمييزاً لهم حتى يُعرفوا فيُعمل بأقوالهم"[7].

وعقّب الآلوسي على ذلك بقوله: "وهو استنباطٌ لطيف"[8].

[1] [التحريم: 6]

[2] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 106)، والسعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (672).

[3] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (22/ 106).

[4] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (20/ 324)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (14/ 243)، وابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (6/ 481).

[5] انظر، الزحيلي، أ. د. وهبة بن مصطفى: **التفسير الوسيط**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1 – 1422هـ)، (3/ 2088).

[6] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (11/ 166).

[7] الآلوسي: **روح المعاني**، (11/ 265).

[8] **المرجع السابق**، (11/ 265).

المطلب العاشر: النداء المتضمن لشروط المبايعة

قوله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ ﴾[1].

هذه آية (بيعة النساء)، فقد بايع عليها رسول الله ﷺ نساء قريش، وكان قد بايع الرّجال على الإيمان والجهاد فحسب[2].

ويظهر أنّ هذه المبايعة قد تمّت في أوقاتٍ متعدّدة، وفي أماكن مختلفة، فقد وقعت بعد فتح مكّة، ووقعت أيضاً في المدينة النبويّة، وأنها شملت الرجال والنساء[3].

وكان ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة بعد صلاة العيد، ويشهد لذلك ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، قال: "شَهِدْتُ الصَّلاَةَ يَوْمَ الفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ فَكُلُّهُمْ يُصَلِّيهَا قَبْلَ الخُطْبَةِ، ثُمَّ يَخْطُبُ بَعْدُ، فَنَزَلَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ حِينَ يُجَلِّسُ الرِّجَالَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ يَشُقُّهُمْ، حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ مَعَ بِلاَلٍ، فَقَالَ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ ﴾[4] حَتَّى فَرَغَ مِنَ الآيَةِ كُلِّهَا، ثُمَّ قَالَ حِينَ فَرَغَ: «أَنْتُنَّ عَلَى ذَلِكِ؟» فَقَالَتِ امْرَأَةٌ وَاحِدَةٌ، لَمْ يُجِبْهُ غَيْرُهَا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ -لاَ يَدْرِي الحَسَنُ مَنْ هِيَ- قَالَ: «فَتَصَدَّقْنَ» وَبَسَطَ بِلاَلٌ ثَوْبَهُ، فَجَعَلْنَ يُلْقِينَ الفَتَخَ[5] وَالخَوَاتِيمَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ"[6].

---

[1] [الممتحنة: 12]

[2] انظر، ابن جُزَيّ، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (ت: 741هـ): **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1 – 1416 هـ)، (2/ 368).

[3] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (14/ 346).

[4] [الممتحنة: 12]

[5] الفَتَخ: "جمع فَتْخة وهي: الخواتيم التي تلبسها النساء في أصابع الرجلين ...، وقيل: الخواتيم التي لا فصوص لها، وقيل: الخواتم الكبار". ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت، دار المعرفة، 1379)، (10/ 330).

[6] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ﴾ [الممتحنة: 12]، حديث رقم (4895)، (6/ 151).

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ﴾ "أي: قاصداتٍ للمبايعة"[1]، ويذكر ابن الجوزي أنّ جملة مَن أحصِيَ مِن المبايعات أربعمئة وسبعة وخمسون امرأة[2].

والمقتضي لهذه المبايعة بعد الامتحان لهنّ أنهنّ دخلْن في الإسلام، بعد أنْ شرَع الله ﷻ ما شرَعَ مِن أحكام وآداب، فكان من المناسب أنْ يأخذ ﷺ عليهنّ العهود بأنْ يلتزمْن بالتكاليف التي كلّفهنّ المولى ﷻ بها[3].

ويلاحَظ أنّ ربّ العزة ﷻ قال:﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ ﴾، ولم يقل: (فَامْتَحِنُوهُنَّ)، كمَا قال في المهاجرات، والجواب مِن وجهين[4]:

الأول: أَنَّ الامتحان حاصل بهذه الشروط السّتّة المذكورة في هذه الآية.

والثاني: أَنَّ المهاجرات يأتين مِنْ دار الحرب فلا اطِّلاع لهنّ على الشرائع، فلا بُدَّ مِن الامتحان، وأَمّا المؤمنات فهنّ في دار الإسلام وعلِمن الشرائع، فلا حاجة إلى الامتحان.

وهذه الشروط المذكورة في هذه الآية تُسمّى (مبايعة النساء) فقد كُنّ يبايعْن على إقامة الواجبات المشترَكة، التي تجب على الذكور والنساء في جميع الأوقات، وأمّا الرجال فيتفاوَت ما يلزمهم بحسب أحوالهم ومراتبهم، وما يتعيّن عليهم، فكان ﷺ يمتثل ما أمَره ﷻ، فكان إذا جاءته النساء يبايعْنه، والتزمْن بهذه الشروط بايعَهنّ، وجبَر قلوبهنّ، واستغفر لهنّ الله ﷻ فيما يحصل منهنّ من التقصير، وأدخلَهنّ في جملة المؤمنين[5].

وهذه المبايعة للنساء غير معمولٍ بها اليوم، فقد أجمع العلماء على أنه ليس للإمام أنْ يشترط عليهنّ هذا، فإمّا أنْ تكون المبايعة منسوخةً ولم يُذكَر الناسخ، أو يكون تركُ هذه الشروط؛ لأنها قد تقرّرت وعُلِمت من الشرع بالضرورة، فلا حاجة إلى اشتراطها[6]، فضلاً عن كون الأمر بذلك ندبٌ لا إلزامٌ إلاّ إذا احتيج إلى المحنة مِن أجْل تباعد الدّار، كان على إمام المسلمين إقامة المحنة[7].

---

[1] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، (8/ 240).

[2] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (4/ 274).

[3] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (14/ 344)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (28/ 165).

[4] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (29/ 524).

[5] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (857).

[6] انظر، ابن جُزَيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، (2/ 369).

[7] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 76).

وقد ذكَر اللهُ ﷻ ورسولُه ﷺ في صفة البيعة خصالاً وشروطاً شتَّى، صُرِّح فيهنّ بأركان النَّهي في الدِّين، ولم تُذكر أركان الأمر، وهي ستةٌ أيضاً: الشهادة، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحجّ، والاغتسال من الجنابة؛ وذلك لأنّ النهي دائمٌ في كلّ الأزمان والأحوال؛ فكان التنبيه على اشتراط الدائم آكَد[1].

وقيل: إنّ هذه الأمور كان في النساء كثيرٌ مَن يرتكبها، ولا يحجزهنّ عنها شرَفُ النسَب، فخُصَّت بالذِّكر لهذا[2].

وتقييد مبايعتهنَّ بما ذُكِر من مجيئهنّ؛ وذلك لحثّهن على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيهَا مِن غير دعوة لهنّ إليها[3].

وقدَّم بعض الخصال المذكورة في الآية على بعضها الآخر؛ لكثرة وقوعها مِن النساء معَ اختصاصِ بعضها بهنَّ، وقيل: قَدّم الأقبح على ما هو الأدنى منه في القبح، ثمّ ما بعده إلى آخرها[4].

وقد ذكرت هذه الآية الكريمة شروطاً ستّةً لمبايعة النساء، وهي:

الأول: ﴿ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا ﴾، بأنْ يفرِدْن الله ﷻ وحده بالعبادة[5].

وألاحِظ هنا واللَّه أَعلم بالصَّواب أنّ الحقّ ﷻ قد بدأ بالشرك؛ وذلك لأنّ الشرك أكبر الكبائر وأظلم الظلْم وأقبح القُبح وأجهل الجهل في الدنيا، بل إنّ أعظم ذنبٍ يُرتكب على ظهر هذه الأرض هو الشرك به ﷻ، وقد سمّاه ربُّ العزة ﷻ ظلماً بقوله: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾[6].

الثاني: ﴿وَلَا يَسْرِقْنَ ﴾، أَي: أَموال الناس الأَجانب، فأَمَّا إذا كان الزوج شحيحاً ومُقصِّراً في نفقتها، فلها أَنْ تأكل مِن ماله بالمعروف، ما جرت به عادة أَمثالها، وَإِنْ كان بغير عِلْمه، فقد ثبت ذلك بالدليل الصحيح[7].

---

[1] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 73).

[2] انظر، ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 237)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 73).

[3] انظر، أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، (8/ 241).

[4] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (29/ 524)، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، (8/ 241)، والشوكاني: **فتح القدير**، (5/ 258)، والآلوسي: **روح المعاني**، (14/ 274).

[5] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (857).

[6] [لقمان: 13]

[7] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 99).

غير أنّ ابن العربي قيّد هذه الإباحة، فقال: "وهذا إنَّما هو فيما لا يَخزُنه عنها في حجاب، ولا يَضْبِط عليها بقُفْل، فإنّها إذا هتَكته الزوجة، وأَخذت منه كانت سارقة، تعصي بها، وتُقطَع عليه يدُها"[1]؛ وذلك لأنها أخذتْه مِن حِرْز[2].

ويبدو أنّ جعْل نهي النساء المبايعات عن السرقة أحدُ أَركان البيعة دون الرجال أنها كانت فيهنّ أَكثر منها في الرّجال، فقد قال الأَعرابيّ لمَّا ولدَت زوجُه بنتًا: (واللّه ما هي بنعم الولد، بَزُّها[3] بكاء، ونصرها سرقة)[4].

الثالث: ﴿ وَلَا يَزْنِينَ ﴾، كما كان ذلك موجوداً كثيراً في البغايا وذوات الأخدان[5]، وهذا كقوله:﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾[6]،[7].

الرابع: ﴿ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ ﴾، ويعمّ قتْلُ الأولاد أَمرين[8]:

الأول: وأد البنات.

والثاني: إسقاط الأجنّة وهو الإجهاض.

ويظهر أنه أُسند القتل إلى النساء –وإنْ كان بعضه يفعله الرِّجال–؛ لأنّ النساء كُنّ يرضَيْن به أَو يسكُتن عليه[9].

الخامس:﴿ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾، والبهتان: الخبر الكاذب الصريح في كذبه؛ لأنّه يبهَت مَنْ قيل فيه من شدّة أثَره[10]، والافتراء: هو اختلَاق الكَذب، أَيْ: لا يختلِقن أَخبارًا بأَشياء لم تَقع[11].

---

[1] ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 238).

[2] "الحِرْز: الموضع الحصين. يقال: هذا حِرْزٌ حَرِيز. والحِرْزُ: ما أَحرزَك مِنْ موضع وغيره. تقول: هو في حِرْزٍ لا يُوصَل إليه". ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (حرز)، (5/ 333).

[3] "والبَزُّ: السَّلْبُ". **المرجع السابق**، مادة **(بزز)**، (5/ 312).

[4] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (28/ 166).

[5] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (857).

[6] [الإسراء: 32]

[7] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 99).

[8] انظر، الخازن: **لباب التأويل**، (4/ 284)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (28/ 166).

[9] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (28/ 166).

[10] انظر، الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، (14/ 910).

[11] انظر، **المرجع السابق**، (14/ 910).

وليس المراد من البهتان المأتيّ بين الأيدي والأرجُل هنا: نهيهنّ عن الزنا؛ لأنّ النهي عن الزنا قد تقدَّم ذِكْره في هذه الآية الكريمة، بل المراد مِنْه عند أكثر المفسرين[1]: أنْ تلتقِط مولوداً إذا خشيَتْ مثلاً أنْ يطلّقها الزوج؛ لعدم الإنجاب، وتقول لزوجها إذا سافر ورجع: (هذا ولدي منْك)، فهذا هو البهتان المفترَى بين أيديهنّ وأرجلهنّ؛ لأنّ الولد إذا وضعتْه الأمّ سقَط بين يديها ورجليها[2].

وأميل إلى حمل البهتان هنا على العموم، وهو: أنْ يُنسَب للرجل غير ولده، أو تفتري على أحدٍ بالقول، أو تَكذِب فيما ائتمنها اللهُ عليه من الحيض والحمْل وغير ذلك، وهذا الذي اختاره ابن عطية، وقال: "واللَّفظ أعمُّ من هذا التخصيص"[3].

ولعلّ في تصوير ولَد الإلحاق بأنه (بهتانٌ) تنفيراً من هذا المولود، وإثارةً لمشاعر الخوف منه، والكراهية له[4]، كما أنّ "وضع هذا (البهتان) بين يدي المرأة ورجليها إزعاجٌ لها، وإقلاقٌ لمشاعرها أنْ تسكُن إلى هذه الجريمة البشعة التي تعيش معها، كما يعيش القتيل بين يدي قاتله"[5].

وبعد تخصيص هذه المنهيَّات بالذِّكْر؛ لخطر شأنها، عمَّم النهي في الشرط السادس بقوله: ﴿ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ ﴾[6]. والمعروف عامٌّ في جميع ما يأمُر به النبيّ ﷺ وينهَى عنه، كما عرّفه ابن الأثير بأنه "اسْمٌ جامعٌ لكلّ ما عُرِف مِن طاعة الله والتقرُّب إليه والإحسان إلى النَّاس، وكُلّ ما ندَب إليه الشرع ونَهى عنه مِن المحسِّنات والمُقبِّحات"[7].

وقد احتوت آية (بيعة النساء) فوائد كثيرة، منها[8]:

الفائدة الأولى: مشروعية أخْذ البيعة لإمام المسلمين، ووجوب الوفاء بها.

---

[1] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (23/ 340)، والواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ): **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت، دار القلم، والدار الشامية، ط1 – 1415 هـ)، (1091)، والبغوي: **معالم التنزيل**، (5/ 76)، والزمخشري: **الكشاف**، (4/ 520)، وابن الجوزي: **زاد المسير**، (4/ 274)، والرازي: **مفاتيح الغيب**، (29/ 524).

[2] انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، (5/ 258).

[3] ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 299).

[4] انظر، الخطيب: **التفسير القرآني للقرآن**، (14/ 910).

[5] **المرجع السابق**، (14/ 910).

[6] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (28/ 167).

[7] ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: 606): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، بلا طبعة – 1399هـ – 1979م)، مادة (عَرَفَ)، (3/ 216).

[8] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (5/ 334).

والفائدة الثانية: حرمة الشرك والسرقة والزنا وقتْل الأولاد والكذب والبهتان وإلحاق الولد بغير أبيه.

والفائدة الثالثة: حرمة النياحة، وشَقّ الثياب، وخمش الوجوه، والتحدُّث مع الرجال الأجانب.

والفائدة الرابعة: بُعدُ الحُرّة كلّ البُعد من الزنا.

والفائدة الخامسة: حرمة مصافحة النساء الأجنبيّات؛ لقوله ﷺ في البيعة: "إِنِّي لَا أُصَافِحُ النِّسَاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ، قَوْلِي لِمِئَةِ امْرَأَةٍ"[1].

المطلب الحادي عشر: النداء المتضمّن أحكام الطلاق

قوله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾[2].

ولقد اختُلف في سبب نزول هذه الآية الكريمة، فقيل: إنّ سبب نزولها طلاق رسول الله ﷺ حفصة، فقد روى الحاكم "أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا خَالَاهَا قُدَامَةُ وَعُثْمَانُ ابْنَا مَظْعُونٍ، فَبَكَتْ وَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا طَلَّقَنِي عَنْ شِبَعٍ، وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ: "قَالَ لِي جِبْرِيلُ عليه السلام: رَاجِعْ حَفْصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ"[3]. وقيل: غير ذلك[4].

---

[1] أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (ت: 241هـ): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1421هـ – 2001م)، مسند النساء، حديث رقم (27006)، (44/ 556)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

[2] [الطلاق: 1]

[3] الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هـ): **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1– 1411هـ – 1990م)، كتاب معرفة الصحابة ﭬ، ذكْر أُمّ المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطّاب رضي اللّه عنهما، حديث رقم (6753)، (4/ 16). وقال الألباني: "حسن". الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ): **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، (المكتب الإسلامي، بلا طبعة ولا سنة نشر)، حديث رقم (4351)، (2/ 802).

[4] انظر، الواحدي: **أسباب نزول القرآن**، (435).

"وعلى كلٍّ فالعبرة بعموم اللّفظ لا بخصوص السبب -كما هو معلوم-"[1]، وقد قال القاضي أبو بكر بن العربي بعد ذكره سبَبين لنزولها: "وهذا وإن لم يصحّ، فالقول الأوّل أَمثل[2]، والأَصحّ فيه أَنّه بيانٌ لشرعٍ مبتدأ"[3]، ومما يُؤيِّد ما قاله أَبو بكر بن العربي أَنّ ظاهِر كلمة (إذا) للمستقبل[4].

وأرى -بعد استعراض كلّ هذه الأقوال- أنّ سبب نزولها طلاقُ رسول الله ﷺ حفصة.

ويلاحَظ هنا أنّ الرسول ﷺ قد خُوطب أوّلاً؛ تشريفاً وتكريماً، ثُمّ خاطب ﷻ الأُمّة تبعاً[5]، فقال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾، كما يلاحَظ أنه ﷺ قد خُوطِب بلفظ الجماعة؛ تعظيمًا وتفخيمًا[6].

وقد يسأل سائل: لماذا لم يقل: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إذا طلّقتَ النساء) على الرغم من ابتداء الخطاب لرسول الله ﷺ ؟

وللعلماء على ذلك عدّة إجابات[7]:

1- الإجابة الأولى: أنّ الخطاب للرسول ﷺ ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ- الأول: ما دلَّ الدليل على أنه خاصّ به، فهو خاصٌّ به دون غيره، ومنه قوله ﷻ: ﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ﴾[8].

ب- والثاني: ما دلَّ الدليل أنه للعموم، فهو للعموم، ولا يكون داخلًا فيه قطعاً، وإنّما يراد به الأُمّة بلا خلاف، ومنه هذه الآية التي نحن بصدَد تفسيرها، فقوله: ﴿ طَلَّقۡتُمۡ ﴾ للجماعة، وهم: الأُمّة، لكنّ الله ﷻ نادَى زعيمَها ورسولَها؛ لأنهم تابعون له، كما هي العادة في خطاب الرَّئيس الذي يدخُل فيه الأتباع، كقوله ﷻ: ﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾[9].

---

[1] الشنقيطي: **أضواء البيان**، (8/ 208).

[2] يَقصد طلاق رسول الله ﷺ حفصة.

[3] ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 269).

[4] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (28/ 294).

[5] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 142).

[6] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 148).

[7] انظر، ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 269)، والشنقيطي: **أضواء البيان**، (8/ 208-209)، والعثيمين: محمد بن صالح (ت: 1421هـ): **تفسير العثيمين**، (الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط1 - 1425هـ - 2004م)، (55-56).

[8] [الشرح: 1]

[9] [الأعراف: 103]

وقال صاحب الكشّاف معلّلاً ذلك: "خصّ النبيّ ﷺ بالنداء وعمّ بالخطاب؛ لأنّ النبي إمامُ أُمّتِه وقدوتُهم، كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم: (يا فلان افعلوا كيت وكيت)؛ إظهاراً لتقدّمه واعتباراً لِترؤّسه، وأنه مِدْرَهُ[1] قومه ولسانُهم، والذي يصدرون عن رأيه ولا يستبدّون بأمرٍ دونه، فكان هو وحده في حُكم كلِّهم، وسادّاً مسدَّ جميعهم"[2].

وأرى أن هذا خطابٌ للنبي محمد ﷺ، والمؤمنون داخلون معه في هذا الخطاب، وممن ذهب إلى أنّ الرسول محمداً ﷺ داخلٌ أيضاً في هذا الخطاب الزّجّاج[3]، والواحدي[4]، وابن عطية[5]، والزركشي[6]، وغيرهم.

ج- والثالث: ما يحتمِل الأمرين، فقيل: إنه عامّ، وقيل: إنه خاصّ وتتْبعه الأُمّة لا بمقتضَى هذا الخطاب، ولكن بمقتضى أنه أسوتُها وقدوتها، ومنه قوله ﷻ: ﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلۡتَحَدٗا ﴿٢٧﴾ ﴾[7].

2- الإجابة الثانية: أنّ الآية من باب التحوُّل في الخطاب[8]، مِثْل قوله ﷻ: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا ﴾[9].

ويعقِّب ابن العربي على هذا الوجه قائلاً: "وهذا هو قولهم: إن الخطاب له وحده والمعنى له وللمؤمنين. وإذا أراد الله الخطاب للمؤمنين لاطفه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾. وإذا كان الخطاب باللفظ والمعنى جميعاً له قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾"[10].

---

[1] "المِدْرَهُ: زعيم القوم وخطيبهم والمتكلِّم عنهم والذي يرجعون إلى رأيه، والميم زائدة، والجمع المداره". ابن منظور: **لسان العرب**، مادة (مدر)، (13/ 488).

[2] الزمخشري: **الكشاف**، (4/ 552).

[3] انظر، الزّجّاج: **معاني القرآن**، (5/ 183).

[4] انظر، الواحدي: **الوجيز**، (1106).

[5] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 322).

[6] انظر، الزركشي: **البرهان**، (2/ 218).

[7] [الكهف: 27]

[8] هذا ما يُعرَف ب(الالتفات)، وهو: الانتقال من أسلوب إلى آخر، وهو من تلوين الخطاب، وله فوائد، منها: تطرية الكلام، وصيانة السمع عن الملل. انظر، السيوطي: **الإتقان**، (3/ 289).

[9] [يونس: 22]

[10] ابن العربي: أحكام القرآن، (4/ 270)، وانظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 148).

وتبيّن من خلال استقراء النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ بصفة النبوّة والرسالة أنّ النداء بصيغة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾ يراد به النبيّ وحده، ويكون الحديث عن رسالته العامّة، كما يظهر بوضوح في النداء الإلهيّ للرسول محمد ﷺ بصفة الرسالة[1]، أمّا النداء بصيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ فيشمله ويشمل أمّته كما يظهر بوضوح في النداء الإلهي للرسول محمد ﷺ بصفة النبوّة[2]، إلاّ إذا قامت قرينة على إرادة الخصوص، مِثْل قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾[3]، وعليه فإنّ ابتداء الخطاب بلفظ ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ هو من باب التغليب.

3- الإجابة الثالثة: أَنّ فيه تقدير محذوف، وتقديره: (يا أيّها النّبي قل للمؤمنين إذا طلّقتُم النِساء).

ورجّح ابن عطية أنهما خطابان مفترقان، خوطب النبي ﷺ على معنى تنبيهه لسماع القول وتلقّي الأمر، ثمّ قيل له: ﴿ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ﴾، أي: أنت وأُمّتك، فقوله: ﴿ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ﴾، ابتداء كلامٍ لو ابتدأ السورةَ به[4].

وأرى أنّ هذا التفسير الذي اقتصر عليه الزمخشري، هو الذي يناسب بلاغة القرآن وفصاحته، ويناسب مقام النبيّ ﷺ كذلك، وعليه فالصواب أنّ الخطاب للأُمّة، ولكن وُجِّه إلى النبيّ ﷺ بصفته رئيس المسلمين -كما هو المتبادر-؛ لأنّ الخطابات إنما تُوجَّه للرؤساء والمتبوعين، ويبيّن ذلك ابن عاشور بقوله: "وتوجيه الخطاب إليه؛ لأنه المبلّغ للناس وإمام أمته وقدوتهم والمنفّذ لأحكام الله فيهم فيما بينهم من المعاملات فالتقدير: (إذا طلّقتم أيّها المسلمون)"[5].

---

[1] انظر، مادة (ر س ل) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (387).

[2] انظر، مادة (نبأ)، **المرجع السابق**، (782).

[3] [الأحزاب: 50]

[4] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 322).

[5] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (28/ 294).

ومعنى قوله ﷻ: ﴿ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾: "إذا أردتم تطليقهنّ وهمَمتم به على تنزيل المقبِل على الأمر المشارِف له منزلة الشارع فيه"[1]، وهذا كقوله ﷻ: ﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ۝٩٨ ﴾[2]، أَي: "إذا أَردتَ القراءة"[3].

والمراد بالنساء فيها: المدخول بهنّ من المعتدّات بالحيض؛ لمكان قوله ﷻ: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾[4]، قال الزمخشري: "لا عموم ثَمّ ولا خصوص؛ ولكن (النساء): اسم جنسٍ للإناث مِن الإنس، وهذه الجنسيّة معنى قائم في كلّهنّ وفي بعضهنّ، فجاز أنْ يُراد بالنساء هذا وذاك، فلمّا قيل: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ عُلِمَ أنه أُطلِق على بعضهنّ، وهنّ: المدخول بهنّ من المعتدّات بالحيض"[5].

قوله: ﴿فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾ طلاق النساء: حَلُّ عِصمتهنّ، ومعناها: لاستقبال عدَّتهنّ، والمراد: أنْ لا يُطَلِّق أحدٌ امرأته إلاّ في طُهْر لم يمَسّها فيه[6].

والخلاصة: أنّ السّنّة في الطلاق: أنْ تطلَّق المرأة وهي طاهرٌ دون أنْ يكون قد لامسها في هذا الطُّهر، أو أنْ يطلّقها وهي حاملٌ حَمْلاً مستبينًا، ومن ها هنا قسّم الفقهاء الطلاق أقساماً ثلاثة: طلاق سنّة، وطلاق بدعة، وطلاقٌ لا هو بسنّة ولا بدعة[7].

واشتمل خطاب الله ﷻ لنبيّه محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة على أحكام كثيرة منها[8]:

الأول: بيان السُّنَّة في الطلاق، وهي: أنْ يطلّقها في طهر لم يَمسَّها فيه بجماع، وأنْ يكون الطلاق واحدةً لا اثنتين ولا ثلاثاً.

الثاني: وجوب إحصاء العِدَّة؛ لِيعرِف الزوج متى تنقضي عدّة مطلَّقته؟؛ لمَا يترتّب على ذلك من أحكام الرجعة والنفقة والإسكان.

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، (4/ 552).

[2] [النحل: 98]

[3] البغوي: **معالم التنزيل**، (5/ 106).

[4] انظر، الآلوسي: **روح المعاني**، (14/ 328).

[5] الزمخشري: **الكشاف**، (4/ 554).

[6] انظر، الثعالبي: **الجواهر الحسان**، (5/ 443).

[7] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 143)، والمراغي: **تفسير المراغي**، (28/ 135).

[8] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (5/ 373).

الثالث: حرمة إخراج المطلَّقة من بيتها الذي طُلِّقت فيه إلى أنْ تنقضي عدّتُها إلّا أنْ ترتكب فاحشةً ظاهرةً كزنا أو سوءِ خلقٍ وقبيحِ معاملة، فعندئذٍ يجوز إخراجها.

المطلب الثاني عشر: نداء التلطّف في السؤال

قوله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ۝١ ﴾[1].

قد افتتح ﷻ سورة (التحريم) بتوجيه النداء إلى النبيِّ محمد ﷺ فقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾.

وفي توجيه النداء إليه ﷺ تنبيهٌ إلى أنّ ما سيُذكَر بعد النداء شيءٌ مُهِمٌّ بالنسبة له ولسائر المسلمين؛ لمَا اشتمل عليه من بيان الأمور وذِكْر الأحكام والتوجيهات المناسبة لها؛ ولأنّ سبب النزول كان مرتبطاً به ﷺ وفي بيته[2].

وذكر الرّازي أَنّ هذا الخطاب ليس بطريق العتاب؛ بل بطريق التّنبيه على أَنّ ما صدَر منه ﷺ لم يَكُن ممّا ينبغي لمقامه الشريف أنْ يفعَله[3].

ويقول أبو حيّان في هذا النداء الجليل: "يا أيّها النبيّ: نداء إقبال وتشريف وتنبيه بالصفة على عصمته مما يقع فيه مَن ليس بمعصوم"[4].

ويتضح أنّ المولى ﷻ ناداه هنا؛ ليُقبِل إليه بالكلّية، ويُدبِر عن كلّ ما سواه من الأزواج وغيرهنّ[5].

وأُتِي بلفظ ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾ في هذا النداء الكريم؛ إشعاراً بأنه هو الذي نُبِّئ بأسرار التحليل والتحريم الإلهي[6]، وكذلك فإنّ في ندائه ﷺ باسْم النبوّة بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾ في مفتتَح العتاب تنبيهٌ وحُسنُ تَلطُّف، وتنويهٌ بشأنه ﷺ، ودلالةٌ على شَرَف منزلته وفضيلته التي خَصّه بها ما لا يخفى،

---

[1] [التحريم: 1]

[2] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (14/ 467).

[3] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (30/ 569)، والمراغي: **تفسير المراغي**، (28/ 156).

[4] أبو حيان: **البحر المحيط**، (10/ 207).

[5] انظر، القاسمي: **محاسن التأويل**، (9/ 266).

[6] انظر، **المرجع السابق**، (9/ 266)، وطنطاوي: **التفسير الوسيط**، (14/ 468).

وقرَّره ﷻ كالمُعاتِب له على تحريمِه عَلى نفْسه ما أحلَّ الله له، ونظير ذلك تقديمُ العفو على العتاب في قوله ﷻ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾[1]،[2].

وعبّر ﷻ عنه ﷺ بالمبهَم؛ إشعارًا منه بأنه مِن غايةِ عظمته، بحيث لا يُعلم كُنهُه[3].

والاستفهام في قوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾؟ للنفي المصحوب بالعتاب منه ﷻ لنبيّه ﷺ[4]، وهذا الاستفهام بمعنى الإنكار، والإنكار مِن اللّه ﷻ نهي[5]، ويرى أبو حيّان أنّ قوله: ﴿ لِمَ تُحَرِّمُ ﴾؟ سؤال تَلطُّف، ولذلك قَدَّم قبْله ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، كما جاء في قوله ﷻ: ﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَتَعۡلَمَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ ﴾[6]،[7].

والذي أرجّحه أنّ هذا الاستفهام عتابٌ بطريق التلطُّف[8].

"ومعنى ﴿ تُحَرِّمُ ﴾: تمنع، وليس التّحريم المشروع بوحي من الله، وإنما هو امتناعٌ لتطييب خاطر بعض مَنْ يُحسِن معه العشرة"[9].

والمعنى: يا أيّها الرسول الكريم المختار، لماذا حرّمتَ على نفسك ما أحلّه الله ﷻ لك من شرابٍ أو غيره؟، أفعلتَ ذلك مِن أجل إرضاء أزواجك؟ إنه لا ينبغي لك أنْ تفعلَ ذلك؛ لأنّ ما أباحه الله ﷻ لك، لا يصحّ أنْ تُحرِّمه على نفْسك أو أنْ تمتنع عن تعاطيه، فتشقّ على نفْسك مِن أجل إرضاء غيرك[10].

---

[1] [التوبة: 43]

[2] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 330)، والثعالبي: **الجواهر الحسان**، (5/ 451)، والمراغي: **تفسير المراغي**، (28/ 157).

[3] انظر، القاسمي: **محاسن التأويل**، (9/ 266).

[4] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (14/ 467).

[5] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (30/ 568).

[6] [التوبة: 43]

[7] انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، (10/ 207).

[8] وممن ذهب إلى ذلك صاحب (التفسير الواضح). انظر، حجازي: **التفسير الواضح**، (3/ 702).

[9] **المرجع السابق**، (10/ 207-208).

[10] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (14/ 468).

والذي يظهر أنّ التحريم المخاطَب به النبيّ محمد ﷺ في هذه الآية يتوجَّه إلى المعنى اللغوي، وهو: الامتناع من الاستمتاع لا اعتقاد كون الحلال حراماً بعد ما أَحلَّه الله ﷻ له[1]؛ إذ هو الأصل أوّلاً، ولامتناع صدور المعنى الشرعيّ منه ﷺ في المراد بالتحريم في هذه الآية ثانياً؛ لأنه كُفْر، وعليه فإنّ النبي ﷺ امتنع عن الانتفاع بذلك، مع اعتقاده أنّ ذلك حلال[2].

وقد زلّ الزمخشري هنا في حقّ النبي محمد ﷺ، حيث قال تحت تفسيره لهذا النداء العلويّ الجليل: "وكان هذا زلّة منه؛ لأنه ليس لأحدٍ أنْ يحرِّم ما أحلّ الله؛ لأنّ الله ﷻ إنما أَحَلَّ ما أَحَلَّ لحكمةٍ أو مصلحةٍ عرفها في إحلاله، فإذا حرَّمَ كان ذلك قلب المصلحة مفسدةً، ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾: قد غفَر لك ما زَلَلْتَ فيه، ﴿رَّحِيمٌ﴾: قد رحمَك، فلم يؤاخذْك به"[3].

وقد شنَّع بعض المفسِّرين –كابن المنيّر– على الزمخشري زلّته تلك في حقّ النبي ﷺ، فمَا أطلَقه في حقّ النبيّ ﷺ خطأٌ محْض، والنبيّ ﷺ مِنْه براء، وإذا كان آحاد المؤمنين يتحاشَى أنْ يعتقد تحريم ما أَحَلَّ الله ﷻ له، فكيف لا يُربَأ بمنصب النبيّ ﷺ عمّا يرتفع عنه منصب عامّة الأمّة[4].

ومن كل ما سبق يتبين أنّ تحريم الحلال على وجهين[5]:

الأول: اعتقاد ثبوت حُكم التحريم في الحلال، وهو كاعتقاد ثبوت حكم التحليل في الحرام، وهذا محظورٌ يُوجِب الكُفْر، فلا يُمكِن صدوره من المُتَّسمين بسِمة الإيمان، فضلاً عن النبي ﷺ.

الثاني: الامتناع من الحلال مُطلقاً أو مؤكَّداً باليمين مع اعتقاد حِلِّه، وهذا مباحٌ صَرْف، وحلالٌ محض؛ لقوله ﷻ: ﴿وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ فَقَالَتۡ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰٓ أَهۡلِ بَيۡتٖ يَكۡفُلُونَهُۥ

---

[1] المعنى الأصلي لمادة (حَرَمَ) في اللغة "هو: المنع والتَّشديد". ابن فارس: **المعجم**، مادة (حَرَمَ)، (2/ 45).

[2] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (30/ 569)، والقِنَّوجي: **فتح البيان**، (14/ 205)، والمطرَفي، د. عويد بن عيَّاد بن عايد: **آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والإجتهاد**، (مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط3 – 1426هـ – 2005م)، (290).

[3] انظر، ابن المنيّر: **الانتصاف فيما تضمنه الكشاف**، (مطبوع بحاشية تفسير الكشاف)، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3 – 1407هـ)، (4/ 564).

[4] انظر، **المرجع السابق**، (4/ 562).

[5] انظر، **المرجع السابق**، (4/ 562).

لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾[1]، أي: منعْنا الكليم ﷺ أنْ يَقبل ثدي مرضعة[2]، فليس المراد من التحريم هنا التحريم الشَّرْعِيّ؛ وإنما المراد من التحريم هو المنع[3].

وما وقع من الرسول محمد ﷺ كان من هذا الوجه -كما قال ابن المنيّر-، فإذا أراد الحنث فيه والعَوْد إليه كفَّر كفّارةَ يمين، وإنما عاتبه الله ﷻ عليه؛ رفقاً به، وتنويهاً بقَدْره، وإجلالاً لمنصبه ﷺ أنْ يراعي مرضاة أزواجه بما يشقّ عليه؛ جرياً على ما ألِف مِن لُطف الله ﷻ به؛ لرفعة منزلته، وسُموّ مكانته عنده ﷻ[4].

واختُلف في سبب نزول هذه الآية الكريمة وفي الأمر الذي حرّمه المصطفى ﷺ على نفْسه على ثلاثة أقوال[5]:

الأوّل: أنها نزلت في تحريمه ﷺ على نفْسه العسَل، وذلك في قصّة مخرَّجة في الصحيحين بعدّة ألفاظ كما سيأتي.

وقد صحّح روايات تحريم العسل في سبب نزول هذه الآية الكريمة جمْع من المفسرين والعلماء، كابن العربيّ[6]، والبغوي[7]، وابن كثير[8]، والقرطبي[9]، والآلوسي[10]، والنووي[11].

الثاني: أنها نزلت في الواهبة التي جاءت النبيَّ ﷺ، فلم يقبَلْها. ويردّ ابن العربي على ذلك بقوله: "أمّا مَن روى أنّ الآية نزلت في الموهوبة فهو ضعيفٌ في السند، وضعيفٌ في المعنى، أمّا ضعفُه

---

[1] [القصص: 12]

[2] انظر، الواحدي: **الوجيز**، (814).

[3] انظر، السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت: 489هـ): **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1 – 1418هـ – 1997م)، (4/ 126)

[4] انظر، ابن المنيّر: **الانتصاف**، (4/ 562).

[5] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (4/ 304).

[6] انظر، ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 294).

[7] انظر، البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: 516هـ): **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط – محمد زهير الشاويش،(دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2 – 1403هـ – 1983م)، (9/ 227).

[8] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 160).

[9] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 179).

[10] انظر، الآلوسي: **روح المعاني**، (14/ 342).

[11] انظر، النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت: 676هـ): **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2 – 1392هـ)، (10/ 77).

في السَّند فلِعَدم عدالة رُواته[1]، وأمّا ضعفُه في معناه؛ فلأَنّ ردَّ النبيّ ﷺ للموهوبة ليس تحريماً لها؛ لأنّ مَن ردّ ما وُهِب له لم يُحرم عليه، وإنما حقيقة التحريم بعد التحليل"[2].

الثالث: أنها نزلت في تحريمه ﷺ على نفْسه إتيانَ جاريته مارِيَة[3].

وممّن صحّح هذا القول ابن عطية[4]، وعقَّب ابن العربي على هذا السبب قائلاً: "وأَمّا مَنْ روَى أنه حَرَّم مارِيَة فهو أَمثَل في السَّنَد، وأقرَبُ إلى المعنى؛ لكنه لم يُدوَّنْ في صحيح، ولا عُدِّل ناقله، كما أَنه رُوِي مرسَلًا"[5][6]. وقد أورده تفسير الجلالين واقتصر عليه[7]. وإلى هذا القول ذهب جمال الدين القاسمي أيضاً[8].

وبعد طول بحث وتأمُّل ظهر أنّ للآية –موضع البحث– سببي نزول وهما: الأول والثالث، وكلاهما صحيح، فقد تتعدَّد أسباب النزول للآية الواحدة أحياناً –كما هو معلوم–. وقد جاء التصريح بذلك في رواية أخرجها الطبراني[9].

وتضمّن نداء الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة فوائد وأحكاماً كثيرة منها[10]:

---

[1] بل لا يوجد له سند يُروَى به، وإنما أورده بعض المفسرين معزوّاً إلى عكرمة، وبعضهم معزوّاً إلى ابن عباس رضي الله عنهما. انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 178).

[2] ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 293).

[3] كان يقسِم ﷺ لزوجاته التسع، ولا يقسِم لمارِيَة القِبْطيّة رضي الله عنها؛ لأنها أَمَة من الإماء، إنما كان يأتيها في الوقت المتيسِّر له.

[4] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 330).

[5] كأنه يشير في قوله هذا إلى بعض طرق هذا الحديث، جويبر عن الضحاك مرسلاً، أخرجه البيهقي، انظر، البيهقي، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: 458هـ): **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان بيروت دار الكتب العلمية، ط3– 1424هـ – 2003م)، كتاب جماع أبواب ما يقع به الطلاق من الكلام ولا يقع إلا بنية، باب من قال لأمَته أنت عليّ حرام لا يريد عتاقا، حديث رقم (15074)، (7/ 578). غير أنّ قصّة مارِيَة خُرِّجت من طرُق صحيحة، لكن دون تسميتها. وممن أخرجها: البيهقي في **السنن الكبرى**، كتاب جماع أبواب ما يقع به الطلاق من الكلام ولا يقع إلا بنية، باب من قال لأمَته أنت عليّ حرام لا يريد عتاقا، حديث رقم (15076))، (7/ 578). وهو الذي أشار إليه ابن كثير في تفسيره ثمّ عقّب عليه بقوله: "وهذا إسناد صحيح". ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 159).

[6] ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 293).

[7] انظر، المحلي والسيوطي: **الجلالين**، (751).

[8] انظر، القاسمي: **محاسن التأويل**، (9/ 268).

[9] انظر، الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: 360هـ): **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة دار الحرمين)، حديث رقم (8764)، (8/ 323). قال المحقق: "لم يرو هذا الحديث عن يزيد بن رومان إلا سعيد بن أبي هلال، ولا عن سعيد إلا خالد بن يزيد، تفرد به: الليث".

[10] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (5/ 386).

الفائدة الأولى: تقرير نبوّته ﷺ وبشريّته الكاملة.

والفائدة الثانية: كرامة الرسول محمّد ﷺ على ربّه.

والفائدة الثالثة: أنّ "هذه الآية أصلٌ في ترْك التنطع والتشدّد في التعبّد"[1].

والفائدة الرابعة: أخذ الشافعيّ[2] وغيره من هذه الآية الكريمة أنّ مَن قال لزوجته: (أنتِ حرام أو حرّمتُك) -وهو لم ينوِ طلاقها-، أنّ عليه كفّارة يمين لا غير[3].

والفائدة الخامسة: أنّ تحريم ما أَحلّ الله ﷻ لا ينعقد ولا يلزم صاحبه، فالتّحليل والتّحريم هو إلى الله ﷻ لا إلى غيره، ومعاتبته لنبيه ﷺ في هذه السُّورة أَبلَغ دليل على ذلك[4].

ومما ترشد إليه هذه الآية أيضاً:

أولاً: أنّ النساء ذوات حِيل، سواء في الخير أم في الشر، ومما يدلّ على ذلك قصّة تحريمه ﷺ على نفْسه العسَل التي كانت أحد سببي نزول هذه الآية -موضع الدراسة-، فقد أخرج الشيخان في صحيحيهما عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت:

"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الحَلْوَاءَ، وَيُحِبُّ العَسَلَ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى العَصْرَ أَجَازَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ، فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةَ عَسَلٍ، فَسَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ شَرْبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ، قُلْتُ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ فَإِنَّهُ سَيَدْنُو مِنْكِ، فَقُولِي لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ[5]، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ: لاَ، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَشْتَدُّ عَلَيْهِ أَنْ يُوجَدَ مِنْهُ الرِّيحُ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، فَقُولِي لَهُ: جَرَسَتْ[6] نَحْلُهُ العُرْفُطَ، وَسَأَقُولُ ذَلِكِ: وَقُولِيهِ أَنْتِ يَا صَفِيَّةُ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سَوْدَةَ، قُلْتُ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَالَّذِي لاَ إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَقَدْ كِدْتُ أَنْ أُبَادِرَهُ بِالَّذِي قُلْتِ لِي وَإِنَّهُ لَعَلَى البَابِ، فَرَقًا مِنْكِ، فَلَمَّا دَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكَلْتَ مَغَافِيرَ؟ قَالَ:

---

[1] القاسمي: **محاسن التأويل**، (4/ 236).

[2] انظر، الشافعي: **تفسير الإمام الشافعي**، (3/ 1396).

[3] وقد رجّح الإمام القرطبي أنّ الرسول ﷺ كفَّر عن يمينه؛ لأنه أسوةٌ لأمّته. انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (18/ 185).

[4] انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، (5/ 298).

[5] مغافير: "هو صمغ حلو وله رائحة كريهة ينضحه الشجر يقال له: العرفط". مسلم: **صحيح مسلم**، (2/ 1100).

[6] "قوله: جرست أي: رعَت". ابن حجر: **فتح الباري**، (1/ 97).

«لاَ» قُلْتُ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ؟ قَالَ: «سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ» قُلْتُ: جَرَسَتْ نَحْلُهُ العُرْفُطَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَدَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ فَقَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلاَ أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: «لاَ حَاجَةَ لِي بِهِ» قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: سُبْحَانَ اللَّهِ، لَقَدْ حَرَمْنَاهُ، قَالَتْ: قُلْتُ لَهَا: اسْكُتِي"[1].

وثانياً: مكانة المرأة في الإسلام، حيث كرَّمها ديُننا الحنيف أمّاً وبنتاً وأختاً وعمّةً وخالةً وزوجة، بل سُمّيت سورة كاملة باسم امرأة وهي (مريم) وثانيةً بسورة (المجادلة) وثالثةً بسورة (النساء)، والحق أنّ المرأة في الإسلام لؤلؤة مكنونة وجوهرة مصونة، وهي مربّية الأجيال ومعقِد الآمال وصانعة الرجال، بل لقد وصل الأمر إلى أنْ يُحرِّم الزوج الوفيّ محمد ﷺ على نفْسه بعض المباحات كالعسل وغيره؛ إرضاءً لنسائه.

وفي ختام هذا المبحث يتبيّن أنّ النداء الإلهيّ للنبيّ محمد ﷺ بوصف النبوّة فيه فائدتان[2]:

الفائدة الأولى: التفخيم والإكرام له ﷺ.

والفائدة الثانية: الحثّ على الطاعة والإذعان؛ شُكراً لنعمة النبوّة.

المبحث الثاني: النداء بصفة الرسالة

تمهيد:

يدور هذا المبحث حول نداءات الله ﷻ لرسوله محمدٍ ﷺ بصفة الرسالة بصيغة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، والتعريف الذي أرجّحه للرسول –واللّه أعلم بالصواب–: أنّه مَنْ أُوحي إليه بشرع جديد[3].

وقد تبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ الله ﷻ نادى رسوله ﷺ بصفة الرسالة في موضعين[4]، هما:

---

[1] البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب الحيل، باب ما يُكرَه من احتيال المرأة مع الزوج والضرائر، وما نزل على النبي ﷺ في ذلك، حديث رقم (6972)، (9/ 26)، واللفظ له. ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الطلاق، باب وجوب الكفّارة على مَنْ حرّم امرأته، ولم ينوِ الطلاق، حديث رقم (1474)، (2/ 1100).

[2] انظر، العز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمِي الدمشقي (ت: 660هـ): **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، (بلا معلومات نشر)، (217).

[3] انظر، البيضاوي: **أنوار التنزيل**، (4/ 75)، والآلوسي: **روح المعاني**، (9/ 165).

[4] انظر، مادة (ر س ل) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (387).

الأول: قوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ﴾[1].

والثاني: قوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾[2].

لذا سوف أجعل هذا المبحث مطلبين كما سيظهر، وسأستعرض هذين النداءين الجليلين فيه، فأقول والله المستعان وعليه التكلان.

المطلب الأول: نداء المواساة والتلطّف

قوله ﷻ:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَـٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ ۛ سَمَّـٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّـٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَـٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُوا۟ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ ﴾[3].

الخطاب بوصف الرسول في هذا النداء الربّاني الجليل لا شكّ في أنّه خطابُ تشريفٍ وتعظيمٍ وتكريمٍ وتفخِيمٍ لقدْره ﷺ، حيث لم يناده باسمه العَلَم، وفي هذا تعليمٌ للمؤمنين أنْ يخاطِبوه بوصفه، وكذلك كان يدْعوه أَصحابه: (يا رسول الله)، وجَهِل هذا الأَدب بعض الأَعراب؛ لِمَا كانوا عليه مِنْ سذاجة البادية وخشونتها، فكانوا يُنادُونه باسمه (يا محمد) حتى أَنزل الله ﷻ: ﴿ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾[4]، فلم يعُد إلى دُعائه باسمه أَحَد، وأصبحوا ينادونه بقولهم: (يا رسول الله) بعد أنْ كانوا ينادونه (يا محمد)، وقال مجاهد: أمرهم أنْ يدْعوه: (يا رسول الله)، في لين وتواضع[5].

---

[1] [المائدة: 41]

[2] [المائدة: 67]

[3] [المائدة: 41]

[4] [النور: 63]

[5] انظر، السمرقندي: **بحر العلوم**، (2/ 527)، والبغوي: **معالم التنزيل**، (3/ 433).

ومن العجيب أنّ مِن الناس مَن يُكرِّر كلمة (يا محمد) عند تفسيرهم لخطاب الله لرسوله بمثل ﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾[1]، وما أَشبهه مِن الخطاب، وأَخَذه عنهم قُرّاء التفسير، ويكادون يقولونه في تفسير كلّ خطاب، وإنْ لم يُذكَر النداء في الكتاب[2]. ويعقّب أبو حيان بقوله: "هذا نداء بالصفة الشريفة التي هي أشرف أوصاف الجنْس الإنساني"[3].

ولعلّ أوّل ما يُلحظ هنا مجيء النداء له ﷺ ب﴿ يَٰٓأَيُّهَا ﴾ التي تدلّ على نداء البعيد، مع أنه ﷺ من المولى ﷻ قريبٌ وهو له مجيب؛ وذلك لبيان الشأن العظيم لمَا يدعوه إليه ويناديه لأجله، وللموضوع الذي ينبِّهه إليه، وهو حالُ الذين يخاطبهم وتدبير الدعوة على مقتضى حالهم، وتوقّع ما يقع منهم[4].

قوله: ﴿ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾، لقد كان الرسول ﷺ مِن شِدّة حرْصه على الخلْق يشتدّ حزْنُه لمَن يُظهر الإيمان، ثُمّ يرجع إلى الكفر، فأرشده الله ﷻ إلى أنه لا يأسَى ولا يَحزَن على أمثال هؤلاء؛ فإنّ هؤلاء لا في العير ولا في النفير، إنْ حضروا لم يَنفعوا، وإنْ غابوا لم يُفقدوا، لذا خُوطب ﷺ بعنوان الرسالة؛ للإشعار بما يوجب عدمَ الحُزن[5].

وهنا قد يسأل سائل: لِمَ لمْ يقل الله ﷻ: (الَّذِينَ يُسَارِعُونَ إلى الْكُفْرِ) بدلاً من قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾؟

والجواب كما أرى أنّ هناك بوناً شاسعاً بين قولنا: (سارع **إلى** الشيء) و(سارع **في** الشيء)، فإنّ قولنا: سارع إلى الشيء، يعني: أنهم انتقلوا من الإيمان إلى الكفر، ومعلومٌ أنّ المنافق ليس كذلك؛ لأنه كافرٌ في الحقيقة، بدليل قوله ﷻ في الآية نفسها: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ ﴾، لذلك فإنّ المنافق انتقل مِن كفر إلى مزيدٍ من الكفر –بعد نزول الرسالة–، وعليه فلم يبرح دائرة الكفر، وحول هذا المعنى يقول أبو السعود:

---

[1] [الكوثر: 1]

[2] انظر، رضا: **تفسير المنار**، (6/ 319).

[3] أبو حيان: **البحر المحيط**، (4/ 321).

[4] انظر، أبو زهرة: **زهرة التفاسير**، (4/ 2183).

[5] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (231).

"وإيثارُ كلمةِ (في) على ما وقع في قولِه تعالى: ﴿ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ﴾[1] الآية؛ للإشعار باستقرارهم في الكفر، ودوام ملابستهم له في مبدأ المسارعة ومنتهاها"[2].

وقد يقال: إنّ الحزن على كُفْر الكافر ومعصية العاصي طاعة، فكيف نهَى الله ﷻ عن الطاعة؟

والجواب من وجهين[3]:

الأوّل: أَنه ﷺ كان يُفَرّط ويُسرِف في الحزن على كُفْر قومه حتى كادَ يُؤدي ذلك إلى لُحوق الضرر به، فنهاه الله ﷻ عن الإسراف فيه، ألا ترى إلى قوله ﷻ: ﴿ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ ﴾[4].

وهذا، وإنْ كان بحسب الظاهر نهياً للكفرة عن أنْ يحزِنوه ﷺ بمسارعتهم في الكفر، لكنه في الحقيقة نهيٌ له ﷺ عن التأثُّر من ذلك والمبالاة بهم على أبلغ وجهٍ وآكدِه؛ فإنّ النهي عن أسباب الشيء ومباديه المؤدِّية إليه نهيٌ عنه وقلعٌ له من أصله[5].

والثاني: أنّ المعنى: (لا يحزنك فعلُ الّذين يُسارعون في الكفر، على معنى: أَنّ فعْلَهم لا يَضرّك).

وتضمّن خطاب الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة فوائد وأحكاماً كثيرة، منها[6]:

1- استحباب ترْك الحُزْن باجتناب أسبابه ومثيراته.

2- حرمة سماع الكذب لغير حاجة تدعو إلى ذلك.

3- حرمة تحريف الكلام وتشويهه للإفساد.

4- تقرير كُفْر اليهود وعدم إيمانهم.

5- الدلالة على أنَّ النكرة في سياق النّفي تعُمّ؛ إذ لو لم يحصل العموم لم يحصل تهديد الكفار بهذه الآية[7].

---

[1] [آل عمران: 133]

[2] أبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، (2/ 115).

[3] انظر، السمعاني: **تفسير القرآن**، (2/ 37)، والرازي: **مفاتيح الغيب**، (9/ 436-437)، والزحيلي: **التفسير المنير**، (6/ 195).

[4] [فاطر: 8]

[5] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (3/ 36).

[6] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (1/ 633).

[7] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (9/ 437).

المطلب الثاني: نداء التشجيع على التبليغ والصّدع بالحقّ

قوله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾[1].

يقول ﷻ مُخاطباً عبده ورسوله ﷺ في هذا النداء العُلويّ الكريم بعنوان الرسالة؛ تشريفاً له وتكريماً، إذْ كان واسطةً بين اللَّه وخَلْقه؛ وتمهيداً لمَا يأمره به اللهُ من وجوب تبليغ ما كُلِّف بتبليغه إلى الناس دون أنْ يخشى أحداً سواه؛ لأنّ الله ﷻ هو الذي خلَقه وربّاه وتعهّده بالرعاية والحماية، وهو الذي اختاره لِحمل هذه الرسالة دون غيره[2].

لذلك فمن الواجب عليه ﷺ أنْ يبلّغ جميع ما أُنزل إليه منه ﷻ، ويعني بذلك: ما دُمتَ رسولاً، فيجب عليك أنْ تبلّغ الرسالة التي كُلِّفتَ بأنْ تبلِّغَها[3].

ففي هذا النداء العُلويّ أمرٌ من الله لرسوله محمد ﷺ بأعظم الأوامر وأجلّها، وهو: التبليغ لمَا أَنزل الله ﷻ إليه، ويدخل في هذا كلُّ أمرٍ تلقّته الأُمّة عنه ﷺ، ويؤكّد الشوكاني ذلك بقوله: "العموم الكائن فِي ﴿مَآ أُنزِلَ﴾ يفيد أَنه يجب عليه ﷺ أنْ يبلِّغ جميع ما أنزله اللَّهُ إليه، لا يكتم منه شيئاً"[4]، فبلَّغ ﷺ أكملَ تبليغ حتى أصبَح سراج الدِّين وهّاجاً، ودخَل الناس في دين الله أفواجاً، فجزاه اللَّه عن أمّته خيراً[5].

"والتبليغ: جعل الشيء بالغاً. والبلوغ: الوصول إلى المكان المطلوب وصوله، وهو هنا مجاز في حكاية الرسالة للمرسَل بها إليه مِن قولهم: بلغ الخبر وبلغت الحاجة"[6].

واختُلف في المقصود بالتبليغ في هذا الموضع:

---

[1] [المائدة: 67]

[2] انظر، القاسمي: **محاسن التأويل**، (4/ 191)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (6/ 257)، وطنطاوي: **التفسير الوسيط**، (4/ 224)، والمقدم: **تفسير القرآن الكريم**، (44/ 2).

[3] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (6/ 257).

[4] الشوكاني: **فتح القدير**، (2/ 68).

[5] انظر، السعدي: **تيسير الكريم الرحمن**، (239).

[6] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (6/ 258).

الأوّل: الأَمر بالتبليغ مستعمل في طلب الاستيفاء والكمال والدوام، كقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[1]؛[2] لأنه قد كان بلَّغ، فإنما أُمِر في هذه الآية بأنْ لا يتوقّف عن شيءٍ مخافةَ أحَد، وذلك أنّ رسالته ﷺ تضمّنت الطعن على أنواع الكفرة وبيان فساد حالهم، فكان يَلقَى منهم عنتاً، وربّما خافهم أحياناً قبل نزول هذه الآية، فقال الله ﷻ له: (بلِّغْ ما أُنزلَ إليكَ مِنْ ربِّك كاملاً متمّماً)[3].

الثاني: معناه: أَظهِر التبليغ؛ لأَنه كان ﷺ في أَوَّل الإسلام يُخفيه؛ خوفًا مِن المشركين[4].

الثالث: معناه: بلِّغ ما أُنْزِل إليك مِنْ ربّك في أَمْر زينب بنت جحش الأسديّة. وقيل غير هذا[5].

والذي يترجّح القول بالعموم، وممّا يؤكّد ذلك حذف مُتعلِّق (بَلِّغ)[6]؛ وذلك لقصد العموم، والمعنى: بلِّغ ما أُنْزِل إليك جميع مَن يحتاج إلى معرفته، وهو جميع الأمّة؛ إذ لا يُدرَى وقت ظهور حاجة بعض الأمّة إلى بعض الأَحكام، على أَنّ كثيرًا مِن الأَحكام يحتاجها جميع الأمّة[7].
ويلاحَظ أنّ في الإتيان بضمير المخاطَب في قوله: ﴿ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾ إيماءً عَظيماً إلى تشريف الرسول ﷺ بمرتبة الوَساطة بين الله والناس؛ إذ جَعلَ الإنزال إليه، ولم يقل: (إليكم) أَو (إليهم)، كما قال في موضع آخر: ﴿ وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ ﴾[8]، وقوله أيضاً: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾[9]،[10].

---

[1] [النساء: 136]

[2] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (6/ 258).

[3] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (2/ 217).

[4] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (6/ 242).

[5] انظر، **المرجع السابق**، (6/ 242).

[6] أي: أنه نُزِّل الفعل المتعدي منزلة اللازم؛ كي ينصبّ التركيز على الفعل، بغضّ النظر عن المفعول به. وقد يقال: إنّ المفعول به مقدَّر.

[7] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (6/ 242)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (6/ 258).

[8] [آل عمران: 199]

[9] [النحل: 44]

[10] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (6/ 259).

و"في تعليق الإنزال بأنه مِن الربّ تشريف للمنزّل"[1]، وكذلك "الإتيان بلفظ (الربّ) هنا دون اسم الجلالة؛ لمَا في التذكير بأنه ربّه من معنى كرامته، ومن معنى أداء ما أراد إبلاغه، كما ينبغي من التعجيل والإشاعة والحثّ على تناوله والعمل بما فيه"[2].

وفي الآية دلالةٌ على أنه ﷺ لم يُسِرّ إلى أحدٍ شيئاً مِن أمر الدِّين؛ لأنّ المعنى: (بلِّغ كلَّ ما أُنزل إليك ظاهراً)، ولولا هذا ما كان في قوله ﷻ: ﴿ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ﴾ فائدة[3].

ولهذا ثبت في الصحيحين عن أُمّنا عائشة رضي الله عنها أَنها قالت: "مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾"[4].

وفي هذا تأديبٌ للنبي ﷺ، وتأديبٌ لحملة العِلْم مِن أمّته ألّا يَكتُموا شيئًا مِنْ أَمر شريعته، وقد علِم اللّه ﷻ مِنْ أَمْر نبيه أَنه لا يكتُم شيئًا مِنْ وحيه[5].

ولعلّ الحكمة من نزول هذه الآية: أنْ يَعرِف الجميع أنّ النبيّ ﷺ رسولُ ربّ العالمين، بلّغَ جميع ما أُنزِل إليه مِن ربّه، لم يكتُم شيئاً، ولم يخصّ أحداً بشيء[6]، فمِن أَهمّ مقاصدها –كما يقول ابن عاشور–: أنّ الله أراد قطْع تخرُّص مَن قد يزعمون أنّ الرسول قد استبقى شيئاً لم يبلِّغه، أو أنه قد خصّ بعض الناس بإبلاغ شيء من الوحي لم يبلِّغه للناس عامّة. فهي أقطع آية لإبطال قول الرافضة بأنّ القرآن أكثر مما هو في المصحف الذي جمعه أبو بكر ونسخه عثمان، وأنّ رسول الله اختَصّ بكثير من القرآن عليّاً بن أبي طالب ﷺ وأنه أورثه أبناءه وأنه يبلغ وِقْر بعير، وأنه اليوم مختزن عند الإمام المعصوم الذي يلقّبه بعض الشيعة بالمهدي المنتظر وبالوصيّ. وكانت هذه

---

[1] **المرجع السابق**، (6/ 260).

[2] **المرجع السابق**، (6/ 260).

[3] انظر، الزجاج: **معاني القرآن**، (1/ 275)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (6/ 242)، والشوكاني: **فتح القدير**، (2/ 68).

[4] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ ﴾ [المائدة: 67]، حديث رقم (4612)، (6/ 52)، ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب معنى قول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ [النجم: 13]، وهل رأى النبيّ ﷺ ربّه ليلة الإسراء؟، حديث رقم (177)، (1/ 159)، بلفظ: "مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ رَأَى رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ عَلَى اللهِ الْفِرْيَةَ".

[5] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (6/ 242).

[6] انظر، حجازي: **التفسير الواضح**، (1/ 537).

الأوهام ألمّت بأنفس بعض المتشيعين إلى عليّ ﷺ في مدّة حياته، فدعا ذلك بعض الناس إلى سؤاله عن ذلك، فردّ عليهم ﷺ[1].

وتضمّن خطاب الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ في هذه الآية الكريمة فوائد وأحكاماً كثيرة، منها[2]:

1- وجوب البلاغ على الرُّسل، وقد امتَثَل ﷺ ذلك، وقام به أَتمّ القيام.

2- وجوب تحمُّل الرسول كلّ ما دون النفْس في ذات اللَّه ﷻ، فما أشدّ تكليفَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام[3].

3- عصمة الرسول المطلَقة.

4- كُفر أهل الكتاب إلّا مَن آمَن منهم بالنبي محمد ﷺ، واتّبع ما جاء به من الدّين الحقّ.

5- أهل العناد والمكابرة لا تَزيدهم الأدلّة والبراهين إلّا عُتوّاً ونفوراً وطغياناً وكفراً.

6- العبرة بالإيمان والعمل الصالح وترْك الشرك والمعاصي، وليست بالانتساب إلى دينٍ من الأديان.

7- مشروعية حراسة وليّ الأمر، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّه ليس في الآية الكريمة –موضع البحث– ما ينافي الحراسة، بل إنّ رسول الله ﷺ كان يعلَم قطعاً في هذه الحراسات الخاصة أنه معصومٌ، ولكنه طلبها أو أقرّها؛ تشريعاً لأمته، وحمايةً لكيان الجيش من التفرق[4]، وفي هذا يقول الحافظ ابن حجر:

"إنما عانى النبي ﷺ ذلك مع قوّة توكّله؛ للاستنان به في ذلك، وقد ظاهر بين درعين مع أنهم كانوا إذا اشتدّ البأس كان أمام الكل، وأيضاً فالتوكّل لا ينافي تعاطي الأسباب؛ لأن التوكّل عمل القلب وهي عمل البدن، وقد قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلَـٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِي ﴾[5]"[6].

وبناء على ما سبق، يظهر أنّ رسولنا ﷺ طلب الحراسة؛ ليشرِّع لنا فقْه الأمن، ويطبّقه واقعاً على الأرض، فهو وإنْ كان معصوماً إلاّ أنه ينبغي عليه أنْ يتّخذ التدابير الوقائية اللازمة لبقائه حيّاً

---

[1] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (6/ 260).

[2] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (1/ 655).

[3] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (1/ 659).

[4] انظر، المطرَفي: **آيات عتاب المصطفى**، (138).

[5] [البقرة: 260]

[6] ابن حجر: **فتح الباري**، (6/ 82).

مِن أجل التبليغ كرسولٍ والإدارة كقائدٍ والقدوة كمعلِّمٍ وحفْظ حياته لخدمة دينه كفردٍ عاملٍ في حقل الدعوة والجهاد.

وفي ختام هذا المبحث يتبين أنّ نداء الرسول محمد ﷺ بصفة الرسالة فيه ثلاث فوائد[1]:

الفائدة الأولى: الإكرام للرسول محمد ﷺ.

والفائدة الثانية: الحث على الطاعة.

والفائدة الثالثة: التأكيد بذكْر الرسالة، وهي مِن النِّعم الجسام؛ لأنها تستلزم النبوّة، وتحثّ على تبليغ الرسالة. فما أحسَن قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ﴾[2].

وتبيّن من خلال استعراضي للنداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في هذا المبحث، أنّ الخطاب بوصف الرسالة أقلّ وروداً في القرآن الكريم من الخطاب بوصف النبوّة، حيث ورد الخطاب بوصف الرسالة في موضعين[3]، وورد الخطاب بوصف النبوّة في ثلاث عشرة آية[4].

وتبيّن كذلك من خلال استعراضي للنداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ بصفة النبوّة والرسالة أنّ توجيه الله ﷻ لخطابه إلى النبيّ محمد ﷺ لا يستلزم أنْ يكون حُكم الآية خاصّاً به، بل وُجِّه الخطاب إليه؛ لأنه الإمام الأعظم، والرئيس المقدَّم، والمترجِم لأحكام الدِّين الأقوم، وعليه فإنّ الخطاب الخاص بالنبيّ محمد ﷺ يشمل أتباعه باعتباره قدوة لهم، إلاّ إذا قام دليل على أنّ هذا الحُكم من خواصّه[5]، وهذا مذهب الجمهور[6].

---

[1] انظر، العز: **الإشارة إلى الإيجاز**، (217).

[2] [المائدة: 67]

[3] انظر، عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، مادة (ر س ل)، (387).

[4] انظر، **المرجع السابق**، مادة (نبأ)، (782).

[5] وممن اختار هذا الترجيح صبحي الصالح. انظر، الصالح، صبحي: **مباحث في علوم القرآن**، (دار العلم للملايين، ط24 – 2000)، (307).

[6] كما نصّ على ذلك الشنقيطي. انظر، الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ): **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، مكتبة الخراز – جدة، ط1- 1417 هـ – 1996م)، (181).

المبحث الثالث: النداء بأحواله ﷺ

تمهيد:

تبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ الله ﷻ نادى رسوله محمداً ﷺ بصفة مشتقّة مِن حالته التي هو عليها في آيتين مِن كتابه العزيز:

الأولى: قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾[1].

والثانية: قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ ﴾[2].

وسأستعرض في هذا المبحث هذين النداءين الجليلين، فأقول والله المستعان وعليه التكلان.

المطلب الأول: النداء بالمُزَّمِّل، نداء الإرشاد إلى فضائل الأعمال

قوله ﷻ:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا ۝٤ ﴾[3].

وأوّل ما يُلاحَظ هنا أنّ النداء قد صحب الأمر، وأنه تقدّم الكلام، وهذا هو الغالب في النداء[4].

قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ ﴾ نداءٌ للنبيّ ﷺ، يأمر ﷻ رسوله ﷺ أن يترك التزمل، وهو: التغطي في الليل، وينهض إلى القيام لربه ﷻ، وكذلك كان رسول الله ﷺ ممتثلاً ما أمره الله ﷻ به من قيام الليل، وقد كان واجبا عليه وحده[5].

وواضحٌ أنه قد افتُتح خطابُ النبيّ ﷺ بالنداء؛ إعلاماً بعِظَم شأن ما سيكلّف القيام به، ويؤكد هذا المعنى ابن عاشور فيقول: "افتتاح الكلام بالنداء إذا كان المخاطب واحداً ولم يكن بعيداً يدل على الاعتناء بما سيلقَى إلى المخاطب من كلام"[6].

---

[1] [المزمل: 1]

[2] [المدثر: 1]

[3] [المزمل: 1-4]

[4] انظر، السيوطي: **الإتقان**، (3/ 281).

[5] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (8/ 249).

[6] ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (29/ 255).

و(المُزَّمِّلُ) أصله: المُتَزَمِّل، ولكن التاء تُدغَم في الزاي؛ لقُربها منها، يقال: (تَزَمّل فُلان) إذا تلفّف بثيابه، وكلُّ شيءٍ لاففٌ فَقَدْ زُمِّلَ[1].

واختلف أهل التأويل في المعنى الذي وصف اللهُ ﷻ به نبيّه ﷺ في هذه الآية من التزمُّل على قولين[2]:

الأول: منهم مَنْ حمَله على حقيقته، فقد قيل له: (يا مَن تَلفَّف في ثيابه أَو في قطيفته، قُمْ)، قاله إبراهيم وقتادة.

والثاني: منهم مَنْ حمَله على المجاز، كأَنه قيل له: (يا مَن تَزَمَّل بالنبوّة)، قاله عِكرمة.

والذي يظهر أنّ حمْل التزمّل على المعنى الحقيقي هو الصواب، وهذا ما رجّحه الطبري[3]، وابن عطية[4] وعزاه إلى جمهور المفسِّرين، وممن رجّحه أيضاً ابن العربي[5]، والقرطبي[6].

ويشهد للقول الأوّل ماورد في الصحيح[7].

وإنما يسوغ هذا التفسير المجازي لو كانت الميم مفتوحة مشدَّدة بصيغة المفعول الذي لم يُسَمّ فاعله، وأما وهو بلفظ الفاعل فهو باطل وبعيدٌ عن ظاهر الآية؛ لأنه قد عقّبه بقوله: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ ﴾ فكان ذلك بيانا عن أنّ وصفه بالتزمُّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه[8]، يقول الإمام ابن العربي بعد ترجيحه المعنى الحقيقي: فأمّا العدول عن الحقيقة إلى المجاز فلا يحتاج إليه وبخاصة أنّ فيه خلاف الظاهر؛ وإذا تعاضدت الحقيقةُ والظاهر لم يجُز العدول عنه[9].

ويتضح من نداء الرّبّ ﷻ للنبي ﷺ بهذا الوصف ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١﴾ عديد من الفوائد[10]:

---

[1] انظر، الزجّاج: **معاني القرآن**، (5/ 239)، والزمخشري: **الكشاف**، (4/ 634).

[2] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 386)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (19/ 33) .

[3] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (23/ 676).

[4] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 386).

[5] انظر، ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 323).

[6] انظر، القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (19/ 33).

[7] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، حديث رقم (3)، (1/ 7).

[8] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (23/ 676)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (19/ 33).

[9] انظر، ابن العربي: **أحكام القرآن**، (4/ 323).

[10] انظر، ابن جُزَيّ: **التسهيل لعلوم التنزيل**، (2/ 422)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (19/ 33).

الفائدة الأولى: الملاطفة، فإنّ العرب إذا قصَدت ملاطفة المخاطَب وترْك المعاتبة سمّوه باسمٍ مشتقٍّ مِن حالته التي هو عليها.

ومن ذلك قوله ﷺ لعليّ ﷺ: "قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ"[1]، وكذلك النداء الإلهيّ للرسول محمد -موضع البحث- فيه تأنيسٌ وملاطفة؛ ليستشعر أنه غيرُ عاتبٍ عليه[2].

ويرى ابن الزبير الغرناطي أنّ الأصل في النداء أنْ يكون باسم المنادَى العَلَم إذا كان معروفاً عند المتكلِّم، فلا يُعدَل من الاسم العلَم إلى غيره مِن وصفٍ أو إضافةٍ إلّا لغرضٍ يقصِده البلغاء، فإذا نُودي المنادَى بوصف هيئته من لبسةٍ أو جلسةٍ أو ضجعةٍ كان المقصود في الغالب: التلطّفَ به والتحبّبَ إليه ولهيئته، وعليه فنداء النبيّ هنا نداءُ تلطُّف وتحبُّب[3].

وأرى أنّ المعنى الذي ذهب إليه صاحب (ملاك التأويل) هو الصواب؛ وذلك لموافقته الدليل الصحيح الصريح، وممن ذهب إلى هذا المعنى أيضاً صاحب (التحرير والتنوير)[4]، وكذلك الصابوني[5].

والفائدة الثانية: التنبيه لكلّ متزمّلٍ راقدٍ ليلَه؛ لينتبهَ إلى قيام الليل والذِّكْر فيه؛ لأنّ الاسم المشتقّ مِن الفعل يَشترك فيه مع المخاطب كلُّ مَن عَمِل ذلك العمل، واتّصف بتلك الصّفة.

وقيل: إنّما خاطبه بالمزّمّل والمدَّثِّر، ولم يخاطبْه بالنبيّ والرسول هاهنا؛ لأنه لم يكن بعْد ادَّثَر شيئًا مِنْ تبليغ الرّسالة، وإنما كان هذا في بدء الوحي، ثم خوطب بعد بالنبيّ والرسول[6].

---

[1] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد، حديث رقم (441)، (1/ 96). ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، حديث رقم (2409)، (4/ 1874). واللفظ للبخاري.

[2] انظر، السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: 581هـ): **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق: الوكيل، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 1412هـ)، (3/ 146)، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، (9/ 49).

[3] انظر، ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم (ت: 708هـ): **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية)، (2/ 491).

[4] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (29/ 255-256).

[5] انظر، الصابوني، محمد علي: **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، (بيروت، مؤسسة مناهل العرفان – مكتبة الغزالي، ط3 – 1400هـ – 1980م)، (2/ 626).

[6] انظر، البغوي: **معالم التنزيل**، (5/ 164)، وابن الجوزي: **زاد المسير**، (4/ 353)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (19/ 32).

وظنّ بعض العلماء أنّ الْمُزَّمِّل اسمٌ من أَسماء النبي محمد ﷺ[1]. والذي يظهر أنّ المُزّمّل ليس معدوداً من أَسماء الرسول محمد ﷺ، وأنّ الصوابَ ما أشار إليه السُّهَيْلِيّ بقوله: "ليس المزّمّل باسم من أسماء النبي ﷺ، ولم يعرف به كما ذهب إليه بعض الناس وعدُّوه في أسمائه ﷺ، وإنما المزّمّل اسم مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب، وكذلك المدّثّر"[2].

وقد أحسن العلّامة الآلوسي في توضيحه لنداء النبيّ ﷺ بوصف هيئته هنا قائلاً: "فإنه تعالى وإنْ كان له أنْ يخاطب حبيبه بما شاء، لكنّا نحن لا نجري على ما عامله ﷻ به؛ بل يلزَمنا الأدب والتعظيم لجنابه الكريم، ولو خاطب بعضُ الرعايا الوزيرَ بما خاطبه به السلطانُ طرَده الحُجَّاب، وربّما كان العقاب هو الجواب"[3].

وتضمّن خطاب الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ في مستهلّ سورة (المُزّمّل) فوائد وأحكاماً كثيرة، منها[4]:

أولاً: الندْب إلى ذكر الله ﷻ بأيّ وجهٍ مِن صلاةٍ وتسبيحٍ وطلب علْمٍ ودعاءٍ وغير ذلك.

ثانياً: النَّدْب إلى ترتيل القرآن المجيد، وترْك العجلة في تلاوته.

ثالثاً: صلاة الليل أفضل مِن صلاة النهار؛ وذلك لتواطىء السَّمع والقلب فيها على فهم القرآن الكريم.

رابعاً: الندْب إلى قيام الليل، وأنه دأب الصالحين وطريق المقرَّبين.

المطلب الثاني: النداء بالمدّثّر النداء المتضمّن مستلزمات تبليغ الرسالة

قوله ﷻ:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ ﴾[5].

---

[1] ومنهم السيوطي. انظر، السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت: 911هـ): **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1- 1408هـ - 1988م)، (2/ 512).

[2] كما نقل ذلك عنه القرطبي. القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (19/ 33).

[3] الآلوسي: **روح المعاني**، (15/ 113).

[4] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (5/ 457).

[5] [المدثر: 1-7]

هذه أوّل آية نزلت بالإنذار العامّ، وقد وَجد رسولُ الله ﷺ نفْسه وحيداً في هذا الشأن، وليس معه أحَد على مِثْل ما طُلِب منه، فاستعظم على نفْسه إخراج الناس ممّا هم فيه مِن كفْرٍ وضلالٍ إلى الهدى والنور، فضاق صدْره الشريف الطاهر ذرعاً، وتهيّب أنْ يواجه الناس بالتبليغ؛ خشية أنْ يكذّبوه، ويَردُّوا عليه رسالته، فصمَت، ولم يسارعْ إلى أمر الله بالإنذار؛ فإنّ ما كُلِّف به مِن مواجهة الناس بأنْ يعبدوا إلهاً واحداً ويتركوا ما ألِفوه هم وآباؤهم مِن عبادة الآلهة المتعدِّدة لَأَمْرٌ جلَلٌ في معيارهم الفكري وعُرْفهم الجاهلي، تنخلع له قلوبهم، ويهبُّون لردّه عن بَكرة أبيهم؛ ذوداً عن كيانهم، وإبقاءً على معتقدهم القديم[1].

فليس من اليسير إذنْ مواجهتهم حالاً بما يكرهون؛ إذ الإقدام على ذلك -دون تريّث وإعمال فكْر في أنجع السُّبُل التي تكفَل ولو في ظاهر الحال حُسن استجابتهم- قد يكون سبباً لنفورهم منه وعدم قبولهم منه، وذلك معناه: الاستهداف لسهامه، والتعرّض لغضبهم، والوقوع في نقمتهم[2].

في ظلّ هذا الموقف تَريَّث ﷺ في إبلاغ قومه، ولعلّه في ذلك كان يتلمَّس أفضل السُّبل التي يُمكنه بها إبلاغ ما أمره الله ﷻ به إليهم بسبيل تكون أقرب إلى الاستجابة، فنزل عليه جبريل عليه السلام فأمَره أنْ يُسرِع إلى تبليغ أمْر ربه، وإلاّ تعرّضَ لعذابه[3].

و﴿ٱلْمُدَّثِّرُ﴾: اسم فاعل مِن (تدثّر فلان)، إذا لبِس الدِّثار؛ لِينام أو لِيَستدفِئ بها، والدِّثَار - بكسر الدَّال-: هو ما كان مِن الثياب فوق الشِّعار الذي يَلي البدن، والشعار: الثوب الذي يَلِي الجسد، ويُسمّى شعارًا؛ لاتصاله بالبشرة والشَّعر، ومنه حديث: "الأنصار شِعار والناس دِثار"[4]، وأصل المدّثّر: المتدثّر، وهو: لابسُ الدِّثار، يقال: دَثَرتُه فتدثّر، فأُدغمت التاء في الدال؛ لتجانسهما وتقاربهما في النطق والمَخرَج[5].

---

[1] انظر، المطرَفي: **آيات عتاب المصطفى**، (125-126).

[2] انظر، **المرجع السابق**، (126).

[3] انظر، المطرَفي: **آيات عتاب المصطفى**، (126).

[4] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب المغازي، باب غزوة الطائف، حديث رقم (4330)، (5/ 158)، ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الزكاة، باب إعطاء المؤلَّفة قلوبهم على الإسلام وتصبُّر مَن قوِي إيمانه، حديث رقم (1061)، (2/ 738).

[5] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (4/ 644)، وابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 392)، وابن الجوزي: **زاد المسير**، (4/ 359)، وأبو حيان: **البحر المحيط**، (10/ 325)، والآلوسي: **روح المعاني**، (15/ 129)، وطنطاوي: **التفسير الوسيط**، (15/ 173).

ويلاحَظ أنّ الله ﷻ قد افتتَح سورة (المدّثّر) بالنداء؛ وذلك للتنبيه على أهميّة ما يُلقى على المخاطَب مِن أوامر أو نواه[1].

وفي ندائه ﷺ بلفظ ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ في هذا المَقام تلطّفٌ معه، وإيناسٌ لنفسه، وتحبّبٌ إليه، كما افتتح سورة (المزّمّل)[2]، يقول القرطبي في هذا المضمار: "قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾[3] ملاطفةٌ في الخطاب مِن الكريم إلى الحبيب؛ إذْ ناداه بحاله، وعبّر عنه بصفته، ولم يقل: (يا محمد، ويا فلان)؛ لِيستشعر اللّين والملاطفة مِن ربّه"[4].

وقد دَلَّت آيات كثيرة مِن كتاب اللّه العزيز على أَنّ اللّه ﷻ لا يخاطبه في كتابه باسمه، وإنما يُخاطبه بما يدلّ على التّعظيم والتوقير، وعلى ذلك جرى الوارد في نداء نبيّنا ﷺ في هاتين السورتين بالمزّمّل والمدّثّر[5].

ثمّ لا ضَير في هذا الخطاب؛ فإنّه أسلوبٌ عربيٌّ، فقد عُلِم مِن حال العرب في ذلك أنّ السّيّد إذا خاطب عبدَه متلطّفاً به ومشيراً إلى مكانته لديه، أو قصَد تأنيسه خاطبه باسمٍ يشتقّه من حالٍ أو صفةٍ يكون العبد عليها، ويَعدِل عن معروف اسميّته؛ لِيُريه مكانته ويُظهر كريم تحفّيه به وعظيم تلطّفه، فلو ناداه ﷺ وهو في تلك الحال مِنْ الكرب باسمه (يا محمد)، أَو بالأَمر المُجرّد مِن هذه المُلاطفة لهاله ذلك، ولكن لمّا بُدئ ب﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾[6] أنِس، وعَلِم أَنّ رَبّه رَاضٍ عنه، وكان مطلوبه رضا ربّه[7].

وأجمعوا على أَنَّ المراد بالمُدَّثِّر هو: سيّد الخلق وحبيب الحقّ ﷺ، وإنما سمّاه مدثِّراً؛ لقوله ﷺ: "دثّروني"[8]،[9].

---

[1] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (15/ 152).

[2] انظر، الآلوسي: **روح المعاني**، (15/ 129).

[3] [المدثر: 1]

[4] القرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (19/ 61).

[5] انظر، ابن الزبير: **ملاك التأويل**، (2/ 491)، والشنقيطي: **أضواء البيان**، (7/ 402).

[6] [المدثر: 1]

[7] انظر، السهيلي: **الروض الأنف**، (3/ 145-146)، وابن الزبير: **ملاك التأويل**، (2/ 491).

[8] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣﴾ [المدثر: 3]، حديث رقم (4924)، (6/ 162)، ومسلم: **صحيح مسلم**، كتاب الإيمان، باب بدء الوحيِ إلى رسول الله ﷺ، حديث رقم (161)، (1/ 144).

[9] انظر، الخازن: **لباب التأويل**، (4/ 362).

واختلَف أهل التأويل في أوّل ما نَزل، فقال مجاهد: هو ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾[1]، وقال الجمهور: هو ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾[2]، والصحيح: أنه لمّا نزل عليه ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١﴾ رجع فتدثّر، فنزل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾[3]، فظهر أنّ أوّل ما نَزل عليه هو العلق[4].

ويشهد لذلك ماورد في الصحيح: "أَنَّ جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الأَنْصَارِيَّ، قَالَ: وَهُوَ يُحَدِّثُ عَنْ فَتْرَةِ الوَحْيِ فَقَالَ فِي حَدِيثِهِ: " بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ، فَرَفَعْتُ بَصَرِي، فَإِذَا المَلَكُ الَّذِي جَاءَنِي بِحِرَاءٍ جَالِسٌ عَلَى كُرْسِيٍّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَرُعِبْتُ مِنْهُ، فَرَجَعْتُ فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي "فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾[5]. إِلَى قَوْلِهِ ﴿ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥﴾[6]. فَحَمِيَ الوَحْيُ وَتَتَابَعَ"[7].

وعليه فهذا النداء الإلهيّ العلويّ الجليل كان بعد فترة الوحي الأولى، وقد ناداه مُلقَّباً له بهذا اللقَب الجميل تكريماً وتلطّفاً معه؛ ليقومَ بأعباء الدّعوة، وما أشدَّ ثِقَلها[8].

قوله: ﴿ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢﴾[9]، يقول ﷻ لنبيه محمد ﷺ: "قُمْ من نومك، فأَنذِرْ عذاب الله قومَك الذين أَشركوا بالله، وعبدوا غيره"[10].

وعليه فالمعنى على الحقيقة كما اختاره الطبري هنا، فإنه ﷺ كان مضطجعًا متدثِّراً بثوبٍ أو رداء، وقيل: المراد: قُم قيامَ عزمٍ وتصميمٍ ومبادرةٍ وامتثال، وعليه فهذا معنى مجازيّ.

والذي أميل إليه أنّ المراد هنا المعنى الحقيقيّ، واللّه أَعلم بالصَّواب.

---

[1] [المدثر: 1]

[2] [العلق: 1]

[3] [المدثر: 1]

[4] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (5/ 392)، وابن الجوزي: **زاد المسير**، (1/ 13).

[5] [المدثر: 1-2]

[6] [المدثر: 5]

[7] البخاري: **صحيح البخاري**، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ؟، حديث رقم (4)، (1/ 7).

[8] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (5/ 463).

[9] [المدثر: 2]

[10] الطبري: **جامع البيان**، (23/ 9).

ومن الملاحظ أنه اقتصر على قوله: ﴿ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾، دون (فبشِّر)، على الرغم مِن كون النبيّ ﷺ أُرسِل مبشّراً ونذيراً، كما قال الله ﷻ:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[1].

والذي يظهر أنّ في سبب هذا الاقتصار ثلاثة تعليلات[2]:

أ- الأول: لأنه كان في ابتداء النبوّة، والإنذار هو الغالب والمناسب؛ لأنّ البشارة لِمَن آمَن، ولم يكُن هناك أحدٌ آمنَ من الناس حتى يبشِّره البشير النذير ﷺ ما عدا خديجة رضي الله عنها؛ فإنها آمَنت فهي جديرةٌ بالبشارة، لذا فقد كانت غالب أحوال الناس يومئذ محتاجةً إلى الإنذار والتَّحذير؛ حتى يرجعوا عمّا هم فيه مِن ضلال.

ب- الثاني: للاكتفاء؛ لأنّ الإنذار يلزمُه التبشير.

ج- الثالث: لأنّ الإنذار يجمَعُ معاني التحذير مِنْ فعْل شيء لا يليق وعواقبه، فالإنذار حقيقٌ بالتقديم قبل الأَمر بمحامد الفعال؛ لأنّ التخلِية مقدَّمة على التحلية، ودرء المفاسد مُقدَّم على جلْب المصالح.

وتضمّن خطاب الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ في مطلع سورة (المدثّر) فوائد وأحكاماً كثيرة، منها[3]:

1- الجدّ طابع المسلم، فلا كسل ولا خمول ولا لهو ولا لعب، ومَن فارق الجدّ فليتّهمْ نفْسَه في إسلامه.

2- وجوب تعظيم أسماء الله ﷻ وصفاته وكلامه وكتابه وشعائره.

3- وجوب الطهارة للمؤمن -بدناً وثوباً ومسجداً وأكلاً وشرباً وفراشاً ونفْساً وروحاً-، وذهب الإمام الشافعي إلى وجوب غسْل النجاسة مِن ثياب المصلّي؛ فإنّ طهارة الظاهر مِن تمام طهارة الباطن[4].

4- حرمة العُجب، فلا يُعجَب المؤمن بعمَله ولا يزكّي به نفسه -ولو صام الدهر، وأنفق الصخرة، وجاهد الدَّهر-.

5- وجوب الصبر على الطاعات فعلاً، وعلى المعاصي تركاً، وعلى البلاء تسليماً ورضاً.

---

[1] [الأحزاب: 45]

[2] انظر، القاسمي: **محاسن التأويل**، (9/ 350)، وابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (29/ 295)، وطنطاوي: **التفسير الوسيط**، (15/ 174).

[3] انظر، الجزائري: **أيسر التفاسير**، (5/ 464).

[4] انظر، أبو حيان: **البحر المحيط**، (10/ 325).

وفي ختام هذا المبحث يتبيّن إلى أنّ النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ بأحواله التي كان عليها فيه فائدتان:

الفائدة الأولى: الملاطفة والتعظيم والتوْقير.

والفائدة الثانية: التنبيه على أهميّة ما يُلقى على المخاطَب مِن أوامر أو نواه.

وبعد استعراض أساليب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في المباحث الثلاثة السابقة ظهر لكل أحدٍ بجلاء ووضوح تميّز النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم؛ فقد وقّره الله ﷻ في ندائه، فناداه بأحبّ أسمائه وأسنَى أوصافه؛ تعظيماً له وتشريفاً، وتخصيصاً له بذلك عمَّن سواه، وتعليماً للمؤمنين ألاّ ينادوه باسمه، يقول الإمام أبو نُعيم في ذلك: "فسمّاه ليعلَم مَن جحده أنّ أمْره وكتابه هو الحقّ؛ ولأنهم لم يعرفوه إلاّ بمحمد، ولو لم يُسمّه لم يعلم اسمه من الكتاب، وكذلك سائر الأنبياء لو لم يسمّوا في الكتاب ما عُرفت أساميهم كتسمية الله له محمداً، وذلك كلّه زيادة في جلالته، ونبالته، ونباهته، وشرفه؛ لأنّ اسمه مشتق من اسم الله"[1].

[1] أبو نُعَيْم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: 430هـ): **دلائل النبوة**، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، (بيروت، دار النفائس، ط2 – 1406هـ – 1986م)، (41).

المبحث الرابع: ما قيل إنه نداءٌ للنبي محمد ﷺ

تمهيد:

ذكر بعض العلماء[1] أنّ هناك نداءات للنبي محمد ﷺ بغير وصف النبوّة والرسالة أو بما كان مُشتقّاً من حالته التي كان عليها، فقد قيل: إن الله ﷻ نادى نبيّه ﷺ ب(طه) و(يس).

وسوف أفرد لكلّ منها مطلباً مستقلاً في الصفحات القادمة بمشيئة الله ﷻ.

المطلب الأول: نداؤه ﷺ ب(طه)

مما قيل إنه نُودي فيه ﷺ قوله ﷻ:﴿ طه ۝ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ۝ إِلَّا تَذۡكِرَةً لِّمَن يَخۡشَىٰ ۝ ﴾[2].

وقد تعدّدت الأقوال في الحرفَين اللّذَين بُدئت بهما هذه السورة كما هو شأن حرفَي سورة ﴿ يس ﴾ خاصّة، وسائر الحروف التي بُدئت بهما سُوَر القرآن الكريم عامّة، والعلماء في تفسير معنى هذه الحروف المقطَّعة فريقان[3]:

الفريق الأول: يرى أنها مِن المتشابَه الذي لا يُفهَم المراد به، ولم يَرِد عن المعصوم ﷺ المقصود منها، فالله ﷻ أعلَم بمراده.

والفريق الثاني: يرى أنه لا يجوز أنْ يرِد في الكتاب العزيز ما ليس مفهوماً للخلْق.

وقد اختلف أصحاب القول الأخير في تفسير هذه الحروف اختلافاً كثيراً، ومن ذلك اختلافهم في المقصود بكلمة ﴿طه﴾ على عدّة أقوال[4]:

القول الأول: أنّ معناها: (يا رجل)، يريد: النبيّ ﷺ، رواه العوفيّ عن ابن عباس ﵄، وبه قال الحسن، وسعيد بن جبير، ومجاهد، وعطاء، وعكرمة، واختلف هؤلاء بأيِّ لغةٍ هي. ورجّح هذا القول

---

[1] كما سأبيّن في هذا المبحث إنْ شاء الله.

[2] [طه: 1-3]

[3] انظر، الشوكاني: **فتح القدير**، (3/ 420)، وابن عجيبة: **البحر المديد**، (3/ 372).

[4] انظر، ابن عطية: **المحرر الوجيز**، (4/ 36)، وابن الجوزي: **زاد المسير**، (3/ 150)، والرازي: **مفاتيح الغيب**، (22/ 6)، والقرطبي: **الجامع لأحكام القرآن**، (11/ 166-167)، وأبو حيان: **البحر المحيط**، (7/ 309)، والشوكاني: **فتح القدير**، (3/ 420).

الطبري[1]؛ لوجوده في لغة العرب بمعنى: (يا رجل)، وعلى هذا فمعنى الكلام: (يا رجل ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى)، وعزاه ابن جرير إلى جماعة من الصحابة والتابعين، وقد حكى الواحدي هذا القول عن أكثر المفسرين[2].

القول الثاني: أنها حروفٌ مِن أسماء. ثمّ فيه قولان: أحدهما: أنها اسم مِن أسماء الله، والثاني: أنها مِن غير أسماء الله.

القول الثالث: أنه قَسَمٌ أقسم الله ﷻ بطَوله وهدايته، وهو مِن أسمائه ﷻ، رواه عليّ بن أبي طلحة عن ابن عباس ﷺ.

القول الرابع: أنها اسم للنبي ﷺ، سمّاه الله ﷻ به كما سمّاه محمداً، وقد عَدّه الفيروزآبادي أحَد الأسماء المائة المذكورة في القرآن الكريم له ﷺ[3]،[4].

وربما يُسوِّغ ذلك أنّ ما بعدها كان خطاباً للنبي ﷺ، فكأنه نُودي بذلك، خلافاً لسائر سِور القرآن الكريم المبدوءة بأحرُفٍ مقطَّعة فإنه لا يأتي بعدها مخاطبةٌ للنبيّ ﷺ[5].

وممّا يوهن هذا الاستدلال -كما أرى- أنه قد ثبت من خلال استقراء النصوص القرآنية ورود خطابٍ مباشرٍ للنبيّ ﷺ بعد الحروف المقطّعة في مفتتَح سورة (الشورى) أيضاً، فقد قال ﷻ: ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣﴾[6]، فهل (حم) من أسماء النبي محمد ﷺ أيضاً؟!

القول الخامس: إنها فعل أمرٍ أصله: (طَأ)، أُبدلت الهمزة هاء، وهما من مخرج واحد، ومعناه: (طَأِ الأرض بقدميك)، قاله مقاتل بن حيّان، وذلك أنَّ النبي محمد ﷺ كان يتحمّل مشقّة الصلاة حتى

---

[1] انظر، الطبري: **جامع البيان**، (18/ 268).

[2] انظر، الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ): **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1415هـ – 1994م)، (3/ 199).

[3] انظر، الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ): **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1393هـ – 1973م)، (6/ 11-12).

[4] وممّن اختار هذا القول من المعاصرين صالح المغامسي. انظر، المغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد: **سلسلة محاسن التأويل**، (بلا معلومات نشر)، (50/ 3).

[5] انظر، **المرجع السابق**، (50/ 3).

[6] [الشورى: 1-3]

كادت قدماه تتورّم ويحتاج إلى الترَوُّح، فقيل له: (طَإِ الأرض)، أي: لا تتعَب حتى تحتاج إلى الترَوُّح.

القول السادس: أَنها حروف مقطَّعة يدلّ كلّ واحِد منها على معنى، ثُمّ اختلفوا في هذه المعاني التي تدلّ عليها هذه الحروف على أَقوال كلّها متكلَّفة متعسَّفة.

القول السابع: أَنَّ معناها: (طوبى لمن اهتدى).

القول الثامن: هو اسم للسورة ومفتاح لها.

وبعد استعراض هذه الأقوال أرجِّح أنّ ﴿ طه ۝١ ﴾ مِن جملة الحروف المقطّعة، المفتتَح بها كثيرٌ من سور القرآن الكريم، وقد وردا للتنبيه والاسترعاء لمَا يُلقى بعدهما؛ وذلك لأهميته وإرادة إصغائه إليه[1].

أمّا قول مَن قال مِن العلماء: إنّ معناه: (يا رجل) فبعيد، وإنْ كانت اللغة تحتمله، فقد اتفقت الأمّة على أنّ الله ﷻ لم يخاطبه باسمه؛ إكراماً لنبيّه ﷺ، فلم يقل له في الكتاب العزيز كلّه: (يا محمد)، فكلّ ما ورد في القرآن المجيد: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ﴾، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ ﴾، فكيف يُعقل أنْ ينتقل مِن هذه الفوقية حتى يناديه: (يا رجل)[2]؟![3]

ولعلّ أصحاب هذا القول استندوا على أثرٍ يُروى في ذلك، وهو ما رواه النَّقّاش[4] عنه ﷺ أنه قال: "لِي فِي الْقُرْآنِ سَبْعَةُ أَسْمَاءٍ: مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَيَس وَطَهَ وَالْمُدَّثِّرُ وَالْمُزَّمِّلُ وَعَبدُ اللَّه"[5].

والصواب كما تبيّن أنّ هذا الأثر لا يثبُت وليس فيه أيُّ حُجّة لثلاثة أسباب:

---

[1] انظر، المراغي: **تفسير المراغي**، (16/ 94).

[2] وأرى أنّ النداء بصيغة (يا رجل) فيه تكريم أيضاً، فإنّ (رجل) وإنْ كانت نكرة فإنّ النداء يُعرِّفها.

[3] انظر، المغامسي: **سلسلة محاسن التأويل**، (50/ 3).

[4] هو: شيخ القراء، أبو بكر، محمد بن الحسن بن محمد بن زياد الموصلي الأصل ثُمّ البغدادي المقرئ المفسّر، كان واسع الرحلة، وكان في مبدأ أمره يتعاطى نقش السقوف والحيطان فعُرِف بالنقّاش. له مصنفات ومنها (شفاء الصدور) في التفسير، مات سنة (351 هـ). انظر، الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس (ت: 1396هـ): **الأعلام**، (دار العلم للملايين، ط15- 2002م)، (6/ 81). وقال أبو القاسم اللاَّلَكَائِيُّ: "تفسير النقاش إشقاء الصدور، وليس بشفاء الصدور". الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز (ت: 748هـ): **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي (لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1382هـ - 1963م)، (3/ 520).

[5] القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ): **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، (دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409هـ - 1988م)، (1/ 232).

الأول: أنه قد انفرد ببعض أسمائه كالمزّمّل.

والثاني: أن هذا الحديث لم يخرِّجه أحد ، ولا يُعرَف له سند.

والثالث: أنّ النَّقّاش لا يُحتجّ بقوله في الحديث، فقد قال عنه البرقاني: "كُلّ حَدِيثه مُنكر"[1].

والذي يظهر أنّ (طه) و(يس) ليسا اسَمين من أسماء النبيّ ﷺ؛ بل ليس لذلك أصْل، وإلى ذلك يشير الإمام ابن القيّم، فيقول: "وأمّا يذكره العوام أنّ (يس) و(طه) من أسماء النبيّ ﷺ فغير صحيح، ليس ذلك في حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل ولا أثر عن صاحب؛ وإنما هذه الحروف مثل: الم، وحم، والر، ونحوها"[2].

المطلب الثاني: نداؤه ﷺ ب(يس)

ومما قيل إنه نُودي فيه ﷺ قوله ﷻ: ﴿ يس ۝١ ﴾[3].

و﴿يس﴾: من الألفاظ التي اختَلف المفسّرون في معناها على خمسة أقوال[4]، تشبه هذه الأقوال تلك التي قيلت في معنى (طه)، فلا داعي للتكرار هنا.

وقد رجَّح ابن كثير القول: بأنّ (يس) مِن الألفاظ المقطَّعة التي افتُتحت بها بعض السُّور القرآنية؛ للإشارة إلى إعجاز القرآن الكريم، وذلك لِمَا عُلم بالاستقراء[5] مِن أنّ كلّ سورةٍ افتُتحت بهذه الحروف قد انتُصر فيها للقرآن المجيد، وجاء فيها بيانُ إعجازه وعظمته[6].

---

[1] ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت: 597): **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط1، 1386هـ- 1388هـ)، (2/ 140).

[2] ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، (دمشق، مكتبة دار البيان)، (127).

[3] [يس: 1]

[4] انظر، ابن الجوزي: **زاد المسير**، (3/ 516).

[5] أرى أنّ هذا الاستقراء غير تامّ، فإنّ سورة (العنكبوت) مثلاً افتُتحت بثلاثة حروف مقَطَّعة، ولم يعقُبها الانتصار للقرآن المجيد، وإنّما تبعها حديثٌ عن الإيمان والوعد وغير ذلك، فقد قال ﷻ في مطلعها: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسۡبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحۡكُمُونَ ۝٤ مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥ ﴾، [العنكبوت: 1-5].

[6] انظر، ابن كثير: **تفسير القرآن العظيم**، (1/ 160).

وعليه فإن القول الراجح في الحروف المقطّعة أنها أدوات تنبيهٍ نحو(ألَا) و(يا)، جاءت على غير ما أَلِفَ العرب؛ وذلك للتنبيه إلى أنّ هذا القرآن الكريم المؤلَّف مِن جنس الألفاظ التي يَنطقون بها هو من عند الله ﷻ، وأنهم ليس في إمكانهم أو إمكان غيرهم أنْ يأتوا بمثله، أو بعَشر سُوَرٍ من مثله، أو بسورةٍ مِن مثله[1].

ومن كل ما سبق في هذا المبحث يتبيّن ما يأتي:

أولاً: أنّه لم ترِد نداءاتٌ للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم بغير وصف النبوّة والرسالة أو بما كان مُشتقّاً مِن حالته التي كان عليها.

ثانياً: أنّ (طه) و(يس) مِن جملة الحروف المقطّعة، وهما آيتان كريمتان من آيات الكتاب العزيز، وبها افتتح ربّ العزّة ﷻ هاتين السورتين، وسُمِّيتا بهما.

ثالثاً: أنّ (طه) و(يس) ليسا اسَمين من أسماء النبيّ محمد ﷺ.

---

[1] انظر، طنطاوي: **التفسير الوسيط**، (12/ 11).

الفصل الرابع

النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم
– خصائصها – معانيها– ما يعقُبها

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: خصائص النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ

المبحث الثاني: المعاني التي تضمّنتها النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ

المبحث الثالث: ما يعقُب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ

النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم
– خصائصها – معانيها– ما يعقُبها

تمهيد:

تميّز النداء الإلهي للرسول محمد ﷺ بعدّة مميّزات، كما تنوّعت المعاني التي تضمّنتها آيات النداء للرسول محمد ﷺ، ويُلحظ أنه قد تبِع نداء الرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم أسلوب الأمر غالباً.

لذا فقد قسّمت هذا الفصل إلى ثلاثة مباحث على النحو الآتي:

المبحث الأول: خصائص النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ

من خلال استقراء النصوص القرآنية تبيّن أنّ نداء النبيّ محمد ﷺ في القرآن الكريم تميّز بعدة خصائص، منها:

أولاً: نداء النبيّ محمد ﷺ بالوصف لا بالاسم:

فإنه على الرغم مِن ورود اسم (محمدٍ) ﷺ في أكثر مِن موضع في القرآن الكريم، إلاّ أنّ وروده لم يكُن في معرض النداء، وإنما كان مِن باب الإخبار.

وتبيّن أنّ المولى ﷻ لم ينادِ نبيّه محمداً ﷺ باسمه المجرّد في القرآن الكريم كلّه؛ تزكيةً لمقامه الشريف، حيث خاطبه بوصفَي (رسول) و(نبيّ)، فحاز الدرجتين معاً رفعة الرسالة والنبوّة[1]، وحول هذا المعنى يقول صاحب (الكشّاف):

"جعل نداءه بالنبيّ والرسول في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾[2]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ﴾[3]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾[4]، وترَك نداءه باسمه كما قال: يا آدم، يا موسى، يا عيسى، يا داود؛ كرامةً له وتشريفاً، وربئاً بمحلّه، وتنويهاً بفضْله"[5].

ومن المعلوم أنّ الخطاب بوصف النبوّة دُون اسمه العلَم هو خطاب تشريفٍ له بفضل هذا الوصف؛ لِيَربأ بمقامه عن أَنْ يُخاطَب بمِثل مَا يُخاطَب به غيرُه[6]، وفي هذا تعليمٌ وتأديبٌ للمؤمنين، يتضّمن النهيَ عن مخاطبته باسْمه المجرّد، والأمرَ بأنْ يخاطِبوه بوصفه الشريف[7].

---

[1] انظر، مشري: **مركب النداء**، (460).

[2] [الأحزاب: 1]

[3] [التحريم: 1]

[4] [المائدة: 67]

[5] الزمخشري: **الكشاف**، (3/ 518).

[6] انظر، ابن عاشور: **التحرير والتنوير**، (21/ 249).

[7] انظر، ابن العربي: **أحكام القرآن**، (1/ 354).

ثانياً: تقيُّد نداءِ النبيّ محمد ﷺ بـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ﴾:

موضوع النداء عظيم الشأن؛ لأن موضوعه العبادة أو الشرائع، ولذلك كثيراً ما يجيء النداء في القرآن الكريم بـ(يا) المتلُوّة بـ(أيّها)، ويوضح الزمخشري ذلك إجابة عن سؤال وهو: لماذا كثر النداء في التنزيل بـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ﴾؟ بقوله:

"قلتُ: لاستقلاله بأوجهٍ مِن التأكيد وأسبابٍ مِن المبالغة؛ لأنّ كلّ ما نادى اللّٰه له عباده مِن أوامره ونواهيه، وعظاته وزواجره، ووعده ووعيده، واقتصاص أخبار الأُمم الدارجة عليهم، وغير ذلك ممّا أنطق به كتابه، أمورٌ عظامٌ، وخطوبٌ جسامٌ، ومعانٍ عليهم أنْ يتيقّظوا لها، ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم إليها، وهم عنها غافلون. فاقتضتِ الحال أنْ ينادوا بالآكَد الأبلَغ"[1].

ويفرّق صاحب (مفاتيح الغيب) بين النداء بقوله: (يا رجل)، و(يا أيُّها الرجل)، فيقول: ونحن نقول: قول القائل: (يا رجل) يدلّ على النداء، وقوله: (يا أيّها الرجل) يدلّ على ذلك أيضاً، وينبئ عن خطر خطْب المنادي له أو غفلة المنادَى، أمّا الأول: فلأنّ قوله: (يَا أَيُّهَا) جعل المنادَى غير معلوم أوّلاً، فيكون كلُّ سامعٍ متطلّعاً إلى المنادي، فإذا خَصّ المنادي واحداً كان في ذلك إنباء الكلّ؛ لتطلّعهم إليه، وإذا قال: (يا زيد) أو (يا رجل) لا يَلتفِت إلى جانب المنادي إلاّ المذكور، إذا عُلِم هذا فنقول: {أَيُّهَا} لا يجوز حملُه على غفلة النبي ﷺ؛ لأنّ قوله: ﴿ ٱلنَّبِيُّ ﴾ ينافي الغفلة؛ لأنّ النبيّ خبير، فلا يكون غافلاً، فيجب حملُه على خطَر الخطْب[2].

والفائدة مِن هاء التنبيه في النداء نحو قوله: (يا أيُّها) هي: التوكيد، فكأنك كرّرْتَ (يا) مرّتين، وصار الاسم تنبيهاً[3].

ثالثاً: وجود فرق بين نداء الرسول محمد ﷺ والإخبار عنه:

تبيّن من خلال استقراء النصوص القرآنية أنه قد ذُكِر اسم (محمد) ﷺ في القرآن الكريم في أربعة مواضع[4]، وتبيّن كذلك أنه قد اقترن اسم (محمد) ﷺ في جميعها بوصف الرسالة أو الوحي، وذلك على النحو الآتي:

---

[1] الزمخشري: **الكشاف**، (1/ 90).

[2] انظر، الرازي: **مفاتيح الغيب**، (25/ 153).

[3] انظر، الزركشي: **البرهان**، (2/ 415).

[4] انظر، مادة (ح م د) عند عبد الباقي: **المعجم المفهرس**، (268).

1-قـــال ﷻ: ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ ﴾[1].

2-وقال ﷻ: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ ﴾[2].

3-وقال ﷻ: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ ﴾[3].

4-وقال ﷻ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ﴾[4].

رابعاً: تصدُّر النداء الإلهيّ للرسول محمد ﷺ بدايات الآيات:

تميّز نداء ربّ البشر للرسول محمد ﷺ بأنه ورد ابتداءً من أوّل الآيات، أمّا نداء البشر له ﷺ فقد توسّط الآية.

ويظهر من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ نداء البشر للنبيّ محمد ﷺ ورد مرّةً واحدة، وذلك في سورة (الحِجْر)، قال ﷻ: ﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾[5].

وقد ورد هذا النداء على لسان قريش ومشركي مكّة، وكأنّ هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء، نادوا به رسولَ الله ﷺ لا تسليماً لذلك واعتقاداً له، بل تهكّماً به ﷺ، وإشعاراً بعلّة حُكمِهم الباطلِ في قولهم: ﴿إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾، والمعنى: إنك لتقُول قول المجانين حين تدّعِي أنّ الله ﷻ نزّل عليك الذِّكْر، أي: القرآن[6].

---

[1] [آل عمران: 144]

[2] [الأحزاب: 40]

[3] [الفتح: 29]

[4] [محمد: 2]

[5] [الحجر: 6]

[6] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (2/ 571)، وابن الجوزي: **زاد المسير**، (2/ 524)، وأبو السعود: **إرشاد العقل السليم**، (5/ 66).

ويظهر أنّ تصدُّر النداء الإلهيّ للرسول محمد ﷺ بدايات الآيات؛ جرياً على غالب عادة النداء في القرآن الكريم[1]، ومن ذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾[2]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾﴾[3].

وقد تبيّن كذلك من خلال استقراء النصوص القرآنية أنّ نداء النبي محمد ﷺ تصدَّر فواتح خمس سُوَر قرآنية، وهي: الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزمّل، والمدّثر.

ولعلّ الحِكم من افتتاح بعض مطالع السور القرآنية بأسلوب النداء ما يلي:

1- أنه أسلوب من أساليب النظم القرآني في فواتح السور القرآنية، فقد ذكر السيوطي أنّ الله ﷻافتتح سوَر القرآن الكريم بعشرة أنواع من الكلام لا يخرج شيء من السور عنها، ومن ذلك أسلوب النداء، سواء نداء الرسول أم نداء الأمّة[4]،[5] ويبدو أنّ الحكمة من هذا التنويع في فواتح السور هي: لإبعاد الملل، وكذلك لبيان الإعجاز القرآني.

2- أنّ هذا الاستهلال له علاقة بمضمون تلك السور، ولعلّ أوضح مثال على ذلك سورة (الأحزاب)، فإنّ الناظر فيها يظهر له بجلاء أنها تتعلق بشؤون النبي محمد ﷺ، وليس أدلّ على أنّ محورها هو شخصية النبي محمد ﷺ، وبخاصة الجانب الاجتماعي منها، تكرار لفظة (النبي)، و(الرسول) فيها، وكذلك ذكْرها لكثير من أوصافه ﷺ، إضافة إلى أنّ مطلعها يدور حوله ﷺ. وهذا ما يعرف ب(براعة الاستهلال)، وهو: "أن يشتمل أوّل الكلام على ما يناسِب الحال المتكلَّمَ فيه، ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله"[6].

---

[1] قد بلغت نداءات الله ﷻ للمؤمنين على سبيل المثال بصيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ تسعة وثمانين نداءً صريحاً، كلّها في بداية الآي، ولم تقع وسطها إلاّ في آية واحدة؛ وهي قوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ [الأحزاب: 56].

[2] [الحج: 1]

[3] [البقرة: 278]

[4] السور التي افتتحت بنداء الأمّة سواء بصيغة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ أم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ هي: النساء، والمائدة، والحج، والحجرات، والممتحنة.

[5] انظر، السيوطي: **معترك الأقران**، (1/ 61 - 62).

[6] السيوطي: **الإتقان**، (3/ 363).

3- حُسن الابتداء، ويوضحه السيوطي بقوله: "وهو: أن يتأنّق في أول الكلام؛ لأنه أوّل ما يقرع السمع فإن كان مُحَرَّرًا أقبل السامع على الكلام ووعاه، وإلا أعرض عنه لو كان الباقي في نهاية الحُسن، فينبغي أنْ يؤتَى فيه بأعذب اللفظ وأجزله وأرقّه وأسلَسه، وأحسنه نظماً وَسَبْكًا، وأصحّه معنى، وأوضحه وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير المُلْبِس، أو الذي لا يناسب... وقد أتت جميع فواتح السور على أحسن الوجوه وأبلغها وأكملها، كالتحميدات وحروف الهجاء والنداء وغير ذلك"[1].

[1] **المرجع السابق**، (3/ 363).

المبحث الثاني: المعاني التي تضمّنتها النداءات الإلهية للرسول محمدﷺ

تندرج المعاني التي تضمّنتْها الآيات الكريمة التي نادى فيها الربُّ ﷻ رسوله محمداً ﷺ في أربع مجموعات، وذلك على النحو الآتي[1]:

المجموعة الأولى: الأمر بإبلاغ الرسالة وما يتعلّق بها، كالحذر من المعوقات مع ذكْر أركان هذه الرسالة وصفات المرسَل بها والبيعة عليها، ويدلّ على ذلك الآيات الكريمة الآتية:

1- قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾[2].

2- وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾[3].

3- وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾[4].

4- وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ ﴾[5].

5- وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾[6].

المجموعة الثانية: الحثّ على الجهاد، وتأييد الله ﷻ لرسوله ﷺ، ويدلّ على ذلك الآيات الكريمة الآتية:

1- قوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[7].

2- وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾[8].

3- وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾[9].

---

[1] انظر، البدر: **نداء الله نبيه الكريم**، (61/ 253-255).

[2] [المائدة: 67]

[3] [المائدة: 41]

[4] [الأحزاب: 45]

[5] [الممتحنة: 12]

[6] [المدثر: 1-2]

[7] [الأنفال: 64]

[8] [الأنفال: 65]

[9] [التوبة: 73]

4- وقوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾[1].

المجموعـة الثالثـة: الأمـر بتقوى الله ﷻ بفعل الطاعـات والبُعد عن المخالفات، ويدلّ علـى ذلك الآيات الكريمة الآتية:

1- قوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ ﴾[2].

2- وقولــه ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿١﴾ ﴾[3].

3- وقوله ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾[4].

المجموعـة الرابعـة: بيـان بعـض الأحكـام المتعلّقـة بالنسـاء، كتخييرهنّ بـين البقـاء معـه أو تخليـة سبيلهنّ، وبيان ما أحَلّ الله له من النساء، وبيان شيءٍ من أحكام الطلاق، ويدل على ذلك الآيات الكريمة الآتية:

1- قولــه ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾[5].

2- وقولـــــــه ﷻ: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ﴾[6].

3- وقولـــــــه ﷻ:﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٩﴾ ﴾[7].

---

[1] [الأنفال: 70]

[2] [الأحزاب: 1]

[3] [التحريم: 1]

[4] [المزمل: 1-2]

[5] [الأحزاب: 28]

[6] [الأحزاب: 50]

[7] [الأحزاب: 59]

4- وقوله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ ﴾[1].

من خلال النظر في المعاني التي تضمّنتها النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ تبين أنها احتوت على موضوعات متنوعة وذات أهمية بالغة في الوقت نفْسه، حيث عرَضت ما يتعلّق بموضوع الرسالة، وبيَّنت أحكام الجهاد، وذكَّرت بالتقوى، وذكَرت طرَفاً من أحكام النساء، وليس أدَلّ على ذلك من شمول الإسلام لشتى جوانب الحياة، وأنه ينبغي التحاكم إليه وحده، ومن نفائس الكلِم في هذا المضمار قولُ صاحب (الظلال): "إنّ هذه البشرية -وهي من صنع الله- لا تُفتح مغاليق فطرتها إلاّ بمفاتيح مِن صنع الله، ولا تعالَج أمراضها وعِللها إلاّ بالدواء الذي يخرج من يده ﷻ، وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كلّ مغلق، وشفاء كلّ داء: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾[2]...، ولكن هذه البشرية لا تريد أنْ ترُدّ القفل إلى صانعه، ولا أنْ تذهب بالمريض إلى مُبدعه، ولا تسلُك في أمر نفْسها، وفي أمر إنسانيتها، وفي أمر سعادتها أو شقوتها، ما تعوّدت أنْ تسلكه في أمر الأجهزة والآلات المادية الزهيدة التي تستخدمها في حاجاتها اليومية الصغيرة، وهي تعلم أنها تستدعي لإصلاح الجهاز مهندس المصنع الذي صنع الجهاز. ولكنها لا تطبّق هذه القاعدة على الإنسان نفْسه، فتردّه إلى المصنع الذي منه خرج، ولا أنْ تستفتي المبدع الذي أنشأ هذا الجهاز العجيب، الجهاز الإنساني العظيم الكريم الدقيق اللطيف، الذي لا يعلَم مساربه ومداخله إلاّ الذي أبدعه وأنشأه: ﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ۝١٤ ﴾[3].

ومن هنا جاءت الشقوة للبشرية الضالة ... المسكينة الحائرة، البشرية التي لن تجد الرشد، ولن تجد الهدى، ولن تجد الراحة، ولن تجد السعادة، إلاّ حين ترُدّ الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير، كما ترُدّ الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير!، ولقد كانت تنحية الإسلام عن قيادة البشرية حدَثاً هائلاً في تاريخها، ونكبةً قاصمةً في حياتها، نكبة لم تعرف لها البشرية نظيراً في كل ما ألَمّ بها من نكبات"[4].

---

[1] [الطلاق: 1]

[2] [الإسراء: 82]

[3] [الملك: 13- 14]

[4] قطب: **في ظلال القرآن**، (1/ 15).

المبحث الثالث: ما يعقُب النداءات الإلهية للرسول محمد ﷺ

تكرَّر النداء الربّاني للرسول محمد ﷺ في الكتاب العزيز في سبعة عشر موضعاً.

وقد صحِب النداءَ أسلوبُ الطلب في الأكثر، حيث ورد الأمر عقب النداء مباشرة في عشرة مواضع منها، ثُمّ الخبرُ، ثُمّ النهيُ، ثُمّ الاستفهام، وذلك على النحو الآتي:

ما يعقب النداء	العدد	موطن الشاهد	السورة	رقم الآية
الأمر	10	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾	المائدة	67
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾	الأنفال	65
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾	الأنفال	70
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ ﴾	التوبة	73
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ ﴾	الأحزاب	1
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ﴿٢٨﴾ ﴾	الأحزاب	28
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ﴾	الأحزاب	59
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٢﴾ ﴾	المزمل	1 – 2
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمۡ فَأَنذِرۡ ﴿٢﴾ ﴾	المدثر	1 – 2
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾	التحريم	9
الخبر	5	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ	الأنفال	64

		ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾		
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ ﴾	الأحزاب	45
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ ﴾	الأحزاب	50
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا ﴾	الممتحنة	12
		﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ ﴾	الطلاق	1
النهي[1]	2	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ ﴾	المائدة	41
		﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١﴾ ﴾	الأحزاب	1
الاستفهام	1	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ ﴾	التحريم	1

ويظهر أنّ النداء الربّاني للرسول محمد ﷺ في الكتاب العزيز لا يكاد ينفكّ عن الأمر والنهي غالباً، ولهذا لمّا جاء بعده الشرط في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾[2] شفعه الأمر في قوله: ﴿ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ ﴾، وكذلك أيضاً لمّا جاء بعده الشرط في قوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا

[1] وقد ورد النهي على صورتين: الأولى: مجيء النهي مباشرة كما في سورة المائدة، والثانية: مجيء النهي معطوفاً على الأمر كما في سورة الأحزاب.

[2] [الطلاق: 1]

جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾[1] شفعه الأمر في قوله: ﴿فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۖ﴾، ويؤكد هذا السيوطي بقوله عن النداء: "ويصحَب في الأكثر الأمر والنهي"[2].

وأرى –واللَّه أعلم بالصَّواب– أنّ السرّ في كثرة إتيان أُسلوبي الأمر والنهي بعد النداء، أنّ النداء يهيِّئ النفس لِتتلقّى أمراً مهمّاً؛ لِتعمل بمقتضاه، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾[3]، فإنّ النداء كما عرّفه سلطان العلماء هو: "تنبيهٌ للمنادى لِيَسمع ما يُلقى إليه من الكلام بعد النداء؛ لِيَعمل بمقتضاه"[4].

وما أدقّ ما قاله الزمخشري حول ما يعقب النداء في القرآن الكريم حيث قال: إنّ كلّ نداء في الكتاب العزيز يعقُبه فهْم في الدِّين، إمّا من ناحية الأوامر والنواهي التي عُقدت بها سعادة الدارين، وإمّا مواعظ وزواجر ووعد ووعيد وقصص لهذا المعنى، كلّ ذلك راجع إلى الدِّين الذي خُلق الخلْق لأجله، وقامت السماوات والأرض به[5].

ويظهر من خلال استقراء موضوعات النداءات الإلهية للنبيّ محمد ﷺ في السور المكية قصر العبارة غالباً، ولعل الحكمة من ذلك قرع الآذان، والتنبيه لمجتمع غلبت على معظمه الغفلة، حتى وإنْ تصدَّر آيات النداء خطابٌ للنبيّ محمد ﷺ فإنه أريد به أتباعه أو قومه، ومن ذلك قوله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢﴾[6].

أمّا موضوعات النداءات الإلهية للنبيّ محمد ﷺ في السور المدنية فتمتاز بالطول؛ وذلك لأنها تخاطب مجتمعاً مؤمناً قد تهيّأ لقبول التشريعات والأحكام[7]، ولذا اقتضت الإسهاب.

---

[1] [الممتحنة: 12]

[2] السيوطي: **الإتقان**، (3/ 281).

[3] [المزمل: 1 – 2]

[4] العز: **الإشارة إلى الإيجاز**، (217).

[5] انظر، الزمخشري: **الكشاف**، (1/ 90).

[6] [المزمل: 1 – 2]

[7] ومن نداءات الأحكام في النداءات الإلهية للنبيّ محمد ﷺ ما يلي: [الأحزاب: 50]، [الأحزاب: 59]، [الطلاق: 1]، [التحريم: 1]، [المزمل: 1].

الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أمّا بعد:

فإنه بعد الجولة العطرة بين ثنايا موضوع النداء الإلهي للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم، من خلال استقراءٍ لجمٍّ غفيرٍ من الآيات القرآنية، يمكِن الخلوص إلى النتائج الآتية:

1. من أهمّ الأساليب القرآنية أسلوب النداء، والذي عُنيت به هذه الدراسة.
2. الغرض الأساس من النداء في الكتاب العزيز هو: طلب الإقبال والانتباه، والاهتمام بمضمون الخطاب.
3. من الألفاظ التي وردت في كتاب الله الكريم، وتحمِل في طيّاتها معنى النداء: الصراخ، والأذان، والدعاء.
4. للنداءات الربّانية في القرآن الكريم أهميّة بالغة، منها: أنها أشرَف أنواع النداء، وأنها ربّانية المصدر، وتجدّد حاجة البشر إليها، وترتُّب عملٍ عليها، وأنّ فيها تكريماً لأُمم الأنبياء عليهم السلام، وغير ذلك.
5. من السمات العامّة لآيات النداء الإلهي للأنبياء عليهم السلام ما يأتي: الأولى: حصر النداء في آيات النداء بحرف النداء (يا)، والثانية: أنه يلحَق تلك الآيات أمرٌ أو نهيٌ غالباً، والثالثة: الطول في موضوع تلك الآيات، والرابعة: كونها تذكُر جلّ الأنبياء عليهم السلام بأسمائهم مجرَّدة.
6. الغالب في القرآن الكريم إتيان أساليب الأمر والنهي والاستفهام بعد النداء، فقد تبع نداءَ الرسول محمد ﷺ في القرآن الكريم الأمر غالباً، حيث جاء عقب النداء مباشرةً في عشرة مواضع منها، ثُمّ الخبر حيث ورد بعد النداء في خمسة مواضع، ثُمّ النهي وذلك في موضعين، ثُمّ الاستفهام وذلك في موضعٍ واحد.
7. سبب كثرة إتيان الأمر والنهي والاستفهام بعد النداء، أنه يُعِدّ النفْس ويُهيِّئها لِتلقّي ما يقال لها، ومن ذلك ما جاء في نداء الله ﷻ للنبي محمد ﷺ في القرآن الكريم.

8. أنّ الله ﷻ نادى تسعةً من أنبيائه الكرام ورسُله العظام بأداة النداء الظاهرة (يا) في كتابه العزيز، وهم: آدم، ونوح، وإبراهيم، وموسى، وداود، وزكريّا، ويحيى، وعيسى، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

10. سمُوّ منزلة النبي محمد ﷺ عند ربّه ﷻ، فقد جاء في القرآن الكريم ما يدلّ على ذلك، ومنه نداؤه بوصفه الشريف (الرسول) في موضعين، وبوصف (النبيّ) في ثلاثة عشر موضعاً، كما نُودي أيضاً بوصفَين مشتقَّين من حالته التي كان عليها؛ للإيناس والتلطف، وهما: المُزَّمِّل، والمُدَّثِّر.

11. عدد النداءات الربّانية التي تكرَّرت ذاتها على حضرة المصطفى ﷺ اثنان، وكان مضمون ذلك النداء الحثّ على الجهاد، حيث ورد مكرَّراً في سورتي (التوبة) و(التحريم)؛ وذلك تأكيداً على خطر الكفرة والمنافقين، ووجوب قتالهم.

12. ترجيح أنّ (طه) و(يس) ليسا اسمَين للنبي محمد ﷺ، إنما هما من الحروف المقطَّعة التي استأثر الله ﷻ بمراده منها.

13. أنّ المعاني التي تضمّنها نداؤه ﷺ تجتمع في أربعة أمور: الأمر بإبلاغ الرسالة وما يتعلّق بها، والحثّ على الجهاد في سبيل الله ﷻ وما يتّصل به، والأمر بتقوى الله ﷻ ورعايتها، وبيان بعض الأحكام المتعلّقة بالنساء، سواء كان خاصّاً به مع أهله، أم ما يشترك معه فيه أفراد أُمّته.

14. تميّز نداء النبيّ محمد ﷺ في القرآن الكريم بعدّة خصائص، منها: أولاً: نداؤه بالوصف لا بالاسم، وثانياً: تقيُّد ندائه ﷺ بـ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ﴾، وثالثاً: وجود فرق بين ندائه ﷺ والإخبار عنه، ورابعاً: تصدُّر النداء الإلهيّ له ﷺ بدايات الآيات القرآنية.

15. أنّ في العِلم بأساليب ندائه ﷺ إشارة إلى وجوب الأدب معه واحترامه وتوقيره، فلا ينادَى باسمه المجرّد، بل لا بدّ من إجلاله.

16. تَصدُّر نداءات الله ﷻ لرسوله محمد ﷺ فواتح خمس سُوَر قرآنية، وهي: الأحزاب، والطلاق، والتحريم، والمزّمّل، والمدّثّر، ولعل مِن حِكم ذلك حُسن الابتداء، وبراعة الاستهلال، وقيل إنه أسلوب من أساليب النظم القرآني.

وبعد؛

فهذا جهد المُقِلّ، ولا أَدّعي بلوغ الكمال، فهو عملٌ بشريٌّ عرضة لأنْ يعتريه النقص، وقد دُفنت العصمةُ بموت المعصوم ﷺ، وما أغفلتُ في هذه الدراسة من شيءٍ إلاّ ما ظننتُه استطراداً لا ضرورة لِذكْره، وما أجملَ ما قاله **السيوطي** عن كتابه **(الإتقان)**: **"أَنّي لا أَبيعُه بشرط البراءة مِن كلّ عيب، ولا أَدَّعي أَنَّه جَمَع سَلامَة، كيف والبشر مَحَلُّ النَّقْص بلا ريب"**[1].

وفي ختام هذه الرسالة أردِّدُ ما قاله القاضي عبد الرحيم بن علي **البِيساني**[2] للعماد الأصفهاني[3] معتذراً عن كلام استدركه عليه: **"وذلك أنّي رأيتُ أنّه لا يَكتب إنسانٌ كتاباً في يومه إلّا قال في غدِه: لو غُيِّر هذا لكان أحسَن، ولو زِيد لكان يُستحسن، ولو قُدِّم هذا لكان أفضَل، ولو تُرِك هذا لكان أجمَل. وهذا مِن أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر"**[4].

وحسبي أنّي بذلتُ ما في وسعي لِأصِل إلى أحسن المستطاع في هذا البحث، فقد هذّبتُ ونقّحتُ، واستعنتُ بأهل العِلم، فما كان من صوابٍ فمن فضْل الله ﷻ، وما كان من خطأ فمِن نفسي والشيطان، وأستغفر الله ﷻ منه وأتوب إليه، وأساله ﷻ أنْ يكون عملي هذا حجَّة لي لا عليّ، إنه سميعٌ قريبٌ مجيب.

وصلوات الله وسلامُه على أشرف خلْقه وتاج رسُله محمد وعلى آله وصحبه، والحمد لله ربّ العالمين.

---

[1] السيوطي: **الإتقان**، (4/ 300).

[2] هو: عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، وزير، من أئمّة الكُتّاب، كثير الرسائل، كان وزيراً للسلطان صلاح الدين الأيوبي، وُلد بعسقلان في (فلسطين)، وتوفي في القاهرة سنة (596هـ – 1200م). انظر، الزركلي: **الأعلام**، (3/ 346).

[3] هو: محمد بن محمد الأصبهاني، مؤرّخ، عالِم بالأدب، من أكابر الكُتّاب في عهد صلاح الدين الأيوبي، توفي بدمشق سنة (597هـ – 1201م). انظر، الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ): **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1- 1414هـ – 1993م)، (6/ 2623-2628).

[4] القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صِدِّيق خان بن علي الحسيني (ت: 1307هـ): **أبجد العلوم**، (دار ابن حزم، ط1- 1423 هـ-2002م)، (52).

الفهارس العامة

وتشتمل خمسة فهارس:

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الآثار

فهرس الأعلام

فهرس الكلمات الغريبة

فهرس المصادر والمراجع

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	السورة	الآية	رقم الآية	الصفحة
1	البقرة	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ﴾	21	32
2	البقرة	﴿ قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ﴾	33	36
3	البقرة	﴿ وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ ﴾	35	11، 36
4	البقرة	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾	104	2، 26
5	البقرة	﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ﴾	126	27
6	البقرة	﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ ﴾	171	12، 22، 24
7	البقرة	﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾	186	28، 29
8	البقرة	﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ ﴾	233	52
9	البقرة	﴿ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ﴾	260	100
10	البقرة	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ ﴾	278	120
11	آل عمران	﴿ فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ ﴾	39	12
12	آل عمران	﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ ﴾	55	42
13	آل عمران	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	102	1
14	آل عمران	﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ ﴾	133	95
15	آل عمران	﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ ﴾	144	119
16	آل عمران	﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾	159	68
17	آل عمران	﴿ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ ﴾	165	48

18	آل عمران	﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ﴾	193	12
19	آل عمران	﴿وَإِنَّ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَمَن يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِمۡ﴾	199	98
20	النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ﴾	1	1
21	النساء	﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ﴾	41	69
22	النساء	﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ﴾	82	26
23	النساء	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾	136	97
24	المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾	41	94، 122، 126
25	المائدة	﴿وَإِذَا نَادَيۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوٗا وَلَعِبٗاۚ﴾	58	13
26	المائدة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ﴾	67	27، 94، 96، 100، 117، 122، 125
27	المائدة	﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱذۡكُرۡ نِعۡمَتِي عَلَيۡكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ﴾	110	43
28	المائدة	﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾	116	43، 61
29	الأعراف	﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾	22	13، 36
30	الأعراف	﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾	43	13

31	الأعراف	﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا﴾	44	13، 20
32	الأعراف	﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞۚ وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا بِسِيمَىٰهُمۡۚ﴾	46	1
33	الأعراف	﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾	48	13
34	الأعراف	﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ أَنۡ أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ﴾	50	13، 14
35	الأعراف	﴿ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَمَلَإِيْهِۦ ﴾	103	83
36	الأعراف	﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي ﴾	142	61
37	الأعراف	﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾	144	39
38	الأنفال	﴿ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ ﴾	62	49، 50
39	الأنفال	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	64	47، 122، 125
40	الأنفال	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ ﴾	65	48، 50، 51، 122، 125
41	الأنفال	﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ ...﴾	66	52
42	الأنفال	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ ﴾	70	53، 123، 125
43	التوبة	﴿ عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ ﴾	43	88
44	التوبة	﴿ وَلَوۡ أَنَّهُمۡ رَضُواْ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ	59	50

		حَسْبُنَا ٱللَّهُ ﴾		
45	التوبة	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾	73	30، 56، 88، 122، 125
46	التوبة	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾	119	33
47	يونس	﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا ﴾	22	84
48	هود	﴿ وَهِىَ تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ ﴾	42	14، 27
49	هود	﴿ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى ﴾	45	14، 27، 33، 37
50	هود	﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ ۖ ﴾	46	33، 37
51	هود	﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ ۖ ﴾	47	33
52	هود	﴿ قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ ﴾	48	38
53	هود	﴿ يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَآ ۖ إِنَّهُۥ قَدْ جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ ﴾	76	39
54	يوسف	﴿ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا ۚ ﴾	29	11
55	يوسف	﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	21	49
56	الحجر	﴿ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾ ﴾	6	119

57	النحل	﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	98
58	النحل	﴿ فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴾	98	86
59	النحل	﴿ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾	125	58
60	الإسراء	﴿ وَمَنۡ أَرَادَ ٱلۡأٓخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعۡيَهَا وَهُوَ مُؤۡمِنٌ ﴾	19	75
61	الإسراء	﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ ﴾	23	ت
62	الإسراء	﴿ وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا ﴿٣٢﴾ ﴾	32	79
63	الإسراء	﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	82	124
64	الكهف	﴿ وَٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَۖ ﴾	27	84
65	الكهف	﴿ وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ ﴾	52	15
66	مريم	﴿ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا ﴿٣﴾ ﴾	3	12، 14، 24
67	مريم	﴿ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ ﴾	7	11، 41
68	مريم	﴿ يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ﴿١٢﴾ ﴾	12	42
69	مريم	﴿ فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ﴾	24	16
70	مريم	﴿ وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ﴿٥٢﴾ ﴾	52	16
71	طه	﴿ طه ﴿١﴾ مَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لِتَشۡقَىٰٓ ﴿٢﴾ إِلَّا	1−3	110

		تَذۡكِرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰ ﴿٣﴾ ﴾		
72	طه	﴿ فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِيَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ ... ﴾	11-12	16
73	طه	﴿ وَمَا تِلۡكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ ﴾	17	39
74	طه	﴿ قَالَ أَلۡقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ ﴾	19	39، 41
75	طه	﴿ قَالَ قَدۡ أُوتِيتَ سُؤۡلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ﴾	36	39
76	طه	﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ ﴾	40	39
77	طه	﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا . ﴾	43-44	57
78	طه	﴿ وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٨٣﴾ ﴾	83	39
79	طه	﴿ فَقُلۡنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوّٞ لَّكَ وَلِزَوۡجِكَ ﴾	117	27، 37
80	الأنبياء	﴿ وَأَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾	83	14
81	الأنبياء	﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ ﴾	87	14
82	الأنبياء	﴿وَزَكَرِيَّآ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرۡنِي فَرۡدٗا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾	89	11، 14
83	الحج	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ﴿١﴾﴾	1	120
84	الحج	﴿ وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَجِّ ﴾	27	20
85	الحج	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓ ﴾	73	33
86	المؤمنون	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ ﴾	51	27، 44

87	النور	﴿ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِۚ ﴾	26	68
88	النور	﴿ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	33
89	النور	﴿ لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ ﴾	63	94
90	الفرقان	﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾	30	28، 29
100	الفرقان	﴿ وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجٗا وَقَمَرٗا مُّنِيرٗا ﴿٦١﴾ ﴾	61	72
101	الفرقان	﴿ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ﴿٣٠﴾ ﴾	30	28، 29
102	الشعراء	﴿ وَإِذۡ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱئۡتِ ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾	10	15
103	الشعراء	﴿ وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾	215	56
104	النمل	﴿ فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا ﴾	8	16
105	النمل	﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٩﴾ ﴾	9	39
106	النمل	﴿ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٠﴾ ﴾	10	40
107	القصص	﴿ وَحَرَّمۡنَا عَلَيۡهِ ٱلۡمَرَاضِعَ مِن قَبۡلُ ﴾	12	89
108	القصص	﴿ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّيٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾	30	16، 40
109	القصص	﴿ يَٰمُوسَىٰٓ أَقۡبِلۡ وَلَا تَخَفۡۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلۡأٓمِنِينَ ﴿٣١﴾ ﴾	31	32، 40
110	القصص	﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذۡ نَادَيۡنَا وَلَٰكِن رَّحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ ﴾	46	16
111	القصص	﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ	62	17

		تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾		
112	القصص	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ ﴾	65	17
113	القصص	﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾	74	17
114	العنكبوت	﴿الٓمٓ ﴿١﴾ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾... ﴾	5–1	113
115	لقمان	﴿ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ ﴾	13	79
116	الأحزاب	﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ ﴾	1	58، 69، 117، 123، 125، 126
117	الأحزاب	﴿ وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾	2	58، 60، 63
118	الأحزاب	﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾ ﴾	3	58
119	الأحزاب	﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ﴾	6	66
120	الأحزاب	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ... ﴾	28–29	65، 69، 123، 125
121	الأحزاب	﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ ﴾	30	67
122	الأحزاب	﴿ يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ﴾	32	66
123	الأحزاب	﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَـٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾	40	119، 119
124	الأحزاب	﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾	45–	108،

		وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ ... ﴾	46	122، 126
125	الأحزاب	﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ ﴾	47	70
126	الأحزاب	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾	50	72، 85، 123، 126
127	الأحزاب	﴿ لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَٰجٍ ﴾	52	66
128	الأحزاب	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ ﴾	59	74، 75، 123
129	الأحزاب	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ ... ﴾	70-71	1
130	سبأ	﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ ﴾	46	57، 70
131	فاطر	﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾	8	96
132	فاطر	﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ ﴾	37	20
133	يس	﴿ يسٓ ﴿١﴾ ﴾	1	113
134	الصافات	﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾	75	17
135	الصافات	﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ... ﴾	104 - 106	16، 38
136	الصافات	﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ ... ﴾	171 - 173	53

137	ص	﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ﴾	26	41
138	ص	﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾	41	15
139	الزمر	﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ ﴾	36	50
140	الزمر	﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	46	30
141	الزمر	﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ﴾	53	ت
142	الزمر	﴿ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾	65	61
143	غافر	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴾	10	17
144	غافر	﴿ وَيَـٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴾	32	17
145	فصلت	﴿ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ ﴾	44	17
146	فصلت	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّـٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ﴾	47	17
147	الشورى	﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ ... ﴾	3-1	111
148	الزخرف	﴿ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَـٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ ﴾	51	15
149	الزخرف	﴿ وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ ﴾	77	15
150	الزخرف	﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾	88	28، 29

151	محمد	﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ ﴾	2	119
152	الفتح	﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ ﴾	29	59، 119
153	الحجرات	﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ۝٤ ﴾	4	17
154	ق	﴿ وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ۝٤١ ﴾	41	18
155	القمر	﴿ يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ ۝٦ ﴾	6	22
156	القمر	﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ۝١٠ ﴾	10	22
157	القمر	﴿ فَنَادَوۡاْ صَاحِبَهُمۡ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ۝٢٩ ﴾	29	15
158	الحديد	﴿يُنَادُونَهُمۡ أَلَمۡ نَكُن مَّعَكُمۡۖ ﴾	14	18
159	الممتحنة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ﴾	12	77، 122، 126، 127
160	الصف	﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ﴾	8	48
161	الجمعة	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ﴾	9	16
162	الجمعة	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ۝١٠ ﴾	10	33
163	المنافقون	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ﴾	9	33
164	الطلاق	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ	1	34،

		وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ ﴾		124، 126، 126
165	التحريم	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ ﴾	1	56، 82، 87، 117، 123، 126
166	التحريم	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ ﴾	6	76
167	التحريم	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ ﴾	9	125
168	الملك	﴿ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ... ﴾	13–14	124
169	القلم	﴿ فَتَنَادَوۡاْ مُصۡبِحِينَ ٢١ ﴾	21	18
170	القلم	﴿فَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلۡحُوتِ إِذۡ نَادَىٰ وَهُوَ مَكۡظُومٞ ٤٨ ﴾	48	15
171	المزمل	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ١ ... ﴾	4–1	101، 123، 125، 127
172	المدثر	﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ١ ... ﴾	7–1	101، 105، 107، 108، 122، 125

173	النبأ	﴿ وَجَعَلۡنَا سِرَاجٗا وَهَّاجٗا ١٣ ﴾	13	72
174	النازعات	﴿ هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ... ﴾	15–16	18، 40
175	النازعات	﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ٢٣ ﴾	23	15
176	الشرح	﴿ أَلَمۡ نَشۡرَحۡ لَكَ صَدۡرَكَ ١ ﴾	1	83
177	العلق	﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١﴾	1	107
178	الكوثر	﴿ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ ﴾	1	95

فهرس الأحاديث النبويـة

الرقم	طرف الحديث	المرجع	الصفحة
1	"آلى رسول الله ﷺ من نسائه شهراً ... "	البخاري ومسلم	66
2	"أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ بِنْتَ عُمَرَ،..."	المستدرك	82
3	"إنّ الحمد لله نحمده..."	مسلم	1
4	"الأنصار شِعار والناس دِثار"	البخاري ومسلم	106
5	"إِنِّـي لَا أُصَـافِحُ النِّسَـاءَ، إِنَّمَا قَوْلِي لِامْرَأَةٍ، قَوْلِي لِمِائَـةِ امْرَأَةٍ"	مسند أحمد	82
6	" بَيْنَا أَنَا أَمْشِي إِذْ سَمِعْتُ صَوْتًا مِنَ السَّمَاءِ..."	البخاري	107-108
7	"دثّروني"	البخاري ومسلم	107
8	"قُمْ أَبَا تُرَابٍ، قُمْ أَبَا تُرَابٍ"	البخاري ومسلم	103
9	"كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ الحَلْوَاءَ، وَيُحِبُّ العَسَلَ..."	البخاري ومسلم	92-93
10	"لِـي فِـي الْقُرْآنِ سَبْعَةُ أَسْمَاءٍ: مُحَمَّدٌ وَأَحْمَدُ وَيَـس وَطَـهَ وَالْمُدَّثِّرُ وَالْمُزَّمِّلُ وَعَبدُ اللَّه"	الشفا	112
11	"مَنْ لاَ يَشْكُرُ النَّاسَ لاَ يَشْكُرُ اللَّهَ"	الترمذي	ث

فهرس الآثار

الرقم	الأثر	المرجع	الصفحة
1	"إِذَا سَمِعْتَ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ فأرْعِها سَمْعَك؛ فَإِنَّهُ خَيْرٌ يَأْمُرُ بِهِ، أَوْ شَرٌّ يَنْهَى عَنْهُ"	ابن أبي حاتم	2
2	"شَهِدْتُ الصَّلَاةَ يَوْمَ الفِطْرِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ فَكُلُّهُمْ...	البخاري	77
3	"قَدْ خَيَّرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَلَمْ نَعُدَّهُ طَلَاقًا"	البخاري ومسلم	66
4	"قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَمَرْتَ نِسَاءَكَ أَنْ يَحْتَجِبْنَ، فَإِنَّهُ يُكَلِّمُهُنَّ البَرُّ وَالفَاجِرُ، فَنَزَلَتْ آيَةُ الحِجَابِ"	البخاري	74
5	"مَنْ حَدَّثَكَ أَنَّ مُحَمَّدًا ﷺ كَتَمَ شَيْئًا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَقَدْ كَذَبَ، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ ﴾"	البخاري ومسلم	99

فهرس الكلمات الغريبة

الرقم	الكلمة الغريبة	الصفحة
1	الالتفات	84
2	البَزّ	79
3	جرست	92
4	حَرَم	89
5	الحِرْز	79
6	الخَبال	62
7	الفَتَخ	77
8	المِدْرَه	84
9	مَغافير	92
10	النَّوْبة	54

فهرس الأعلام

الرقم	اسم العلم	الصفحة
1	سلطان العلماء عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام	34
2	العماد الأصفهاني	130
3	القاضي عبد الرحيم البِيساني	130
4	النقّاش	112

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- الآلوسي، محمود بن عبد الله الحسيني (ت: 1270هـ): **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**، تحقيق: علي عبد الباري عطية، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1415هـ).
- ابن الأثير، أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري (ت: 606): **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، (بيروت، المكتبة العلمية، بلا طبعة – 1399هـ – 1979م).
- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني (ت: 241هـ): **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، وعادل مرشد وآخرون، إشراف: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1421هـ – 2001م).
- الأزهري، أبو منصور محمد بن أحمد (ت: 370): **تهذيب اللغة**، تحقيق: محمد عوض مرعب، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 2001م).
- الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد الراغب (ت: 502هـ): **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، (دمشق، دار القلم، وبيروت، الدار الشامية، ط1– 1412هـ).
- الألباني، محمد ناصر الدين (ت: 1420هـ): **خطبة الحاجة**، (مكتبة المعارف، ط1– 1421هـ – 2000م).
- -------------: **صحيح الجامع الصغير وزياداته**، (المكتب الإسلامي، بلا طبعة ولا سنة نشر).
- البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي (ت: 256): **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (بيروت، اليمامة، دار ابن كثير، ط3– 1407هـ – 1987م).

- البداح، د. محمد بن خالد بن محمد: **آيات النداء الإلهي الموجه للأنبياء عليهم الصلاة والسلام**، رسالة ماجستير، كلية الإعلام، قسم الدعوة والاحتساب، جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 1421 هـ.
- البدر، د. بدر بن ناصر: **نداء الله نبيه الكريم في آي الذكر الحكيم**، (الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 61، 1421هـ).
- البدوي، أحمد عبد الله البيلي (ت: 1384هـ): **من بلاغة القرآن**، (القاهرة، نهضة مصر، بلا طبعة- 2005).
- البغوي، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء (ت: 516هـ): **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط- محمد زهير الشاويش، (دمشق، بيروت، المكتب الإسلامي، ط2 – 1403هـ - 1983م).
- ---------------: **معالم التنزيل في تفسير القرآن**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 1420هـ).
- البقاعي، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط (ت: 885هـ): **نظم الدرر في تناسب الآيات والسور**، (القاهرة، دار الكتاب الإسلامي).
- البلخي، أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت: 150هـ): **تفسير مقاتل بن سليمان**، تحقيق: عبد الله محمود شحاته، (بيروت، دار إحياء التراث، ط1 – 1423هـ) .
- البيضاوي، أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت: 685هـ): **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 – 1418هـ).
- البيهقي: أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (ت: 458هـ): **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان بيروت دار الكتب العلمية، ط3- 1424هـ - 2003م).

- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى (ت: 279هـ): **سنن الترمذي**، تحقيق: بشار عواد معروف، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1 1395هـ - 1975م).
- تريكي، مبارك : **النداء في القرآن الكريم**، رسالة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة ابن يوسف بن خدة، الجزائر، 2006 - 2007م.
- الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (ت: 816هـ): **التعريفات**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1403هـ - 1983م).
- الجزائري، أبو بكر جابر بن موسى: **أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير**، (المملكة العربية السعودية، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، ط5 - 1424هـ - 2003م).
- ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن (ت:597): **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط1 - 1422هـ).
- ------------------ : **كشف المشكل من حديث الصحيحين**، تحقيق: علي حسين البواب، (الرياض، دار الوطن، 1418هـ - 1997م).
- ------------------ : **الموضوعات**، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ط1، 1386هـ- 1388هـ).
- ------------------ : **نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر**، تحقيق: محمد عبد الكريم كاظم الراضي، (بيروت، لبنان، مؤسسة الرسالة، ط1 - 1404هـ - 1984م).
- الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت: 393هـ): **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، (بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1407هـ - 1987م).
- ابن أبي حاتم: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، (ت: 327هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: أسعد محمد الطيب، (المملكة العربية السعودية، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط، 3 - 1419هـ).

- الحاكم، أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري (ت: 405هـ): **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عطا، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1- 1411هـ- 1990م).
- حجازي، محمد محمود: **التفسير الواضح**، (ط10 - 1413هـ).
- ابن حجر، أبو الفضل أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852): **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، (بيروت، دار المعرفة، 1379).
- الحموي: ياقوت بن عبد الله الرومي (ت: 626هـ): **معجم الأدباء**، تحقيق: إحسان عباس، (بيروت، دار الغرب الإسلامي، ط1- 1414هـ - 1993م).
- أبو حيان، محمد بن يوسف الأندلسي (ت: 745هـ): **البحر المحيط في التفسير**، تحقيق: صدقي محمد جميل، (بيروت، دار الفكر، 1420هـ).
- الخازن، علاء الدين علي بن محمد (ت: 741هـ): **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تحقيق: محمد علي شاهين، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1415هـ).
- الخَطّابي، أبو سليمان حَمْد بن محمد بن إبراهيم البُستي (ت: 388هـ): **شأن الدعاء**، تحقيق: أحمد يوسف الدّقاق، (دار الثقافة العربية، ط1 - 1404هـ - 1984م).
- درويش، محيي الدين بن أحمد مصطفى (ت: 1403هـ): **إعراب القرآن وبيانه**، (دمشق، بيروت، دار اليمامة - ودمشق ، بيروت، دار ابن كثير - وسورية، حمص، دار الإرشاد للشؤون الجامعية، ط4 - 1415هـ).
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن (ت: 321): **جمهرة اللغة**، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، (بيروت، دار العلم للملايين، ط1 - 1987م).
- الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز (ت: 748هـ): **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق: علي محمد البجاوي، (لبنان، بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، 1382هـ - 1963م).
- الراجحي، عبد العزيز بن عبد الله بن عبد الرحمن: **شرح تفسير ابن كثير**، (بلا معلومات نشر).

- الرازي، أبو عبد الله فخر الدين محمد بن عمر (ت: 606هـ): **مفاتيح الغيب**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط3 – 1420هـ).
- رضا، محمد رشيد (ت: 1354هـ): **تفسير القرآن الحكيم**، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م).
- ابن الزبير، أحمد بن إبراهيم (ت: 708هـ): **ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية).
- الزّجّاج، أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل (ت: 311هـ): **معاني القرآن وإعرابه**، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، (بيروت، عالم الكتب، ط1 – 1408هـ – 1988م).
- الزحيلي، أ. د. وهبة بن مصطفى: **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط2 – 1418هـ).
- ------------------ : **التفسير الوسيط**، (دمشق، دار الفكر المعاصر، ط1 – 1422هـ).
- الزركشي، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر (ت: 794هـ): **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1 – 1376هـ – 1957م).
- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس (ت: 1396هـ): **الأعلام**، (دار العلم للملايين، ط15– 2002م).
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر (ت: 538): **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل**، تخريج: الإمام الزيلعي، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3 – 1407هـ).
- --------------------------- : **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق: د. علي بو ملحم، (بيروت، مكتبة الهلال، ط1 – 1993م).
- أبو زهرة، محمد بن أحمد بن مصطفى: **زهرة التفاسير**، (دار الفكر العربي).

- السايس، محمد علي: **تفسير آيات الأحكام**، تحقيق: ناجي سويدان، (المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 2002).
- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (ت: 1376هـ): **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، (مؤسسة الرسالة، ط1- 1420هـ - 2000م).
- أبو السعود، محمد بن محمد العمادي (ت: 982هـ): **إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي).
- السمرقندي، أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد (ت: 373هـ): **بحر العلوم**، (بلا معلومات نشر).
- السمعاني، أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار (ت: 489هـ): **تفسير القرآن**، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عباس بن غنيم، (السعودية، الرياض، دار الوطن، ط1 - 1418هـ - 1997م).
- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (ت: 581هـ): **الروض الأنف في شرح السيرة النبوية**، تحقيق: الوكيل، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط1 -1412هـ).
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1416هـ - 1996م).
- ---------------------------------------: **معترك الأقران في إعجاز القرآن**، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1- 1408هـ - 1988م).
- الشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (ت: 204هـ): **تفسير الإمام الشافعي**، تحقيق د. أحمد بن مصطفى الفرَّان، (المملكة العربية، السعودية، دار التدمرية، ط1- 1427 - 2006م).
- شاكر، أحمد محمد: **عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير**، (مصر، دار الوفاء، ط2 - 1426هـ - 2005م).

- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر (ت: 1393هـ): **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، (لبنان، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ - 1995م).
- ----------------: **دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب**، (القاهرة، مكتبة ابن تيمية، مكتبة الخراز – جدة، ط1- 1417هـ - 1996م).
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد (ت: 1250هـ): **فتح القدير**، (دمشق، بيروت، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، ط1 - 1414هـ).
- الصابوني، محمد علي: **روائع البيان تفسير آيات الأحكام**، (بيروت، مؤسسة مناهل العرفان - مكتبة الغزالي، ط3 - 1400 هـ - 1980م).
- الصالح، صبحي: **مباحث في علوم القرآن**، (دار العلم للملايين، ط24 – 2000).
- الصاعدي، عبد الرزاق بن فراج: **تداخل الأصول اللغوية وأثره في بناء المعجم**، (المملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، عمادة البحث العلمي، ط1، 1422هـ - 2002م).
- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي (ت: 360هـ): **المعجم الأوسط**، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، (القاهرة دار الحرمين).
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ): **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: محمود محمد شاكر، وتخريج: أحمد محمد شاكر، (مؤسسة الرسالة، ط1 – 1420هـ - 2000م).
- طنطاوي، محمد السيد: **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، (القاهرة، الفجالة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 – 1998م).
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر (ت: 1393هـ): **التحرير والتنوير**، (تونس، الدار التونسية للنشر، 1984هـ).

- عبد الباقي، محمد فؤاد (ت: 1388هـ): **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم**، (القاهرة، دار الحديث، 1422هـ - 2001م).
- العثيمين، محمد بن صالح (ت: 1421هـ): **تفسير العثيمين**، (الرياض، دار الثريا للنشر والتوزيع، ط1 - 1425هـ - 2004م).
- ابن عجيبة، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي (ت: 1224هـ): **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة، الدكتور حسن عباس زكي، 1419هـ).
- ابن العربي، أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري (ت: 543هـ): **أحكام القرآن**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط3 - 1424هـ - 2003م).
- عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام السُّلَمِي الدمشقي (ت: 660هـ): **الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز**، (بلا معلومات نشر).
- ----------------: **مُنْيَة السُّول في تفضيلِ الرَّسُول ﷺ**، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، (لبنان، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط1 - 1401 هـ - 1981م).
- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد (ت: 395هـ): **الفروق اللغوية**، تحقيق: محمد إبراهيم سليم، (مصر، القاهرة، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع).
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي المحاربي (ت: 542هـ): **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 - 1422هـ).
- عيد، محمد: **النحو المصفى**، مكتبة الشباب.
- فارس، د. أحمد محمد: **النداء في اللغة و القرآن**، (لبنان، بيروت، دار الفكر اللبناني، ط1 - 1409هـ - 1989م).
- الغزّالي، أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (ت: 505هـ): **إحياء علوم الدين**، (بيروت، دار المعرفة).

- ابن فارس، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت: 395): **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: محمود خاطر، (بيروت، مكتبة لبنان ناشرون، 1415هـ – 1995م).
- الفاسي، محمد بن أحمد بن علي أبو الطيب المكي الحسني (ت: 832هـ): **ذيل التقييد في رواة السنن والأسانيد**، تحقيق: كمال يوسف الحوت، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1- 1410هـ- 1990م).
- الفيروزآبادي، أبو طاهر محمد بن يعقوب (ت: 817هـ): **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز**، تحقيق: محمد علي النجار، (القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، 1393هـ – 1973م).
- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي الْمُقْرِي (ت نحو: 770هـ): **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، (بيروت، المكتبة العلمية).
- القاسمي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد الحلاق (ت: 1332هـ): **محاسن التأويل**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، (بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1418هـ).
- القاضي عياض، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي (ت: 544هـ): **الشفا بتعريف حقوق المصطفى**، (دار الفكر الطباعة والنشر والتوزيع، 1409هـ – 1988م).
- ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت: 276هـ): **تأويل مشكل القرآن**، تحقيق: إبراهيم شمس الدين، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية).
- القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر (ت: 671هـ): **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (القاهرة، دار الكتب المصرية، ط2 – 1384هـ – 1964م).
- القشيري، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت: 465هـ): **لطائف الإشارات**، تحقيق: إبراهيم البسيوني، (مصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط 3، بلا سنة نشر).
- قطب، سيد إبراهيم حسين الشاربي (ت: 1385هـ): **في ظلال القرآن**، (القاهرة، بيروت، دار الشروق، ط17 – 1412هـ).

- القِنَّوجي، أبو الطيب محمد صِدِّيق خان بن علي الحسيني (ت: 1307هـ): **أبجد العلوم**، (دار ابن حزم، ط1- 1423هـ- 2002م).
- -------------------: **فتح البيان**، (بيروت، صيدا، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، 1412هـ - 1992م).
- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت: 751هـ): **تحفة المودود بأحكام المولود**، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، (دمشق، مكتبة دار البيان).
- ------------------- : **تفسير القرآن الكريم**، تحقيق: مكتب الدراسات والبحوث العربية والإسلامية، إشراف إبراهيم رمضان، (بيروت، دار ومكتبة الهلال، ط1 - 1410هـ).
- ------------------- : **زاد المعاد في هدي خير العباد**، (بيروت، مؤسسة الرسالة، الكويت، مكتبة المنار الإسلامية، ط27 - 1415هـ - 1994م).
- الكتاني، محمد المنتصر بالله الزمزمي الإدريسي الحسني (ت: 1419 هـ): **تفسير القرآن الكريم**، (بلا معلومات نشر).
- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774هـ): **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، (دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2 - 1420هـ - 1999م).
- الكَفَوي، أبو البَقاء أيوب بن موسى الحسيني القريمي (ت: 1094هـ): **الكليات**، تحقيق: عدنان درويش، محمد المصري، (بيروت، مؤسسة الرسالة).
- ابن جُزَيّ، محمد بن أحمد بن محمد الكلبي (ت: 741هـ): **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: الدكتور عبد الله الخالدي، (بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ط1 - 1416 هـ).
- المحَلّي، جلال الدين محمد بن أحمد (ت: 864هـ)، والسيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت: 911هـ): **تفسير الجلالين**، (القاهرة، دار الحديث، ط1).
- المراغي، أحمد بن مصطفى (ت: 1371هـ): **تفسير المراغي**، (مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده، ط1 - 1365هـ - 1946م).

- مشري، محمد: **مركب النداء في القرآن الكريم بين المعاني النحوية ودلالة الخطاب**، رسالة دكتوراة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1430هـ - 2009م.
- مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (ت: 261هـ): **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة).
- المطرَفي، د. عويد بن عيَّاد بن عايد: **آيات عتاب المصطفى ﷺ في ضوء العصمة والإجتهاد**، (مكة المكرمة، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، ط3 - 1426هـ - 2005م).
- المطعني، عبد العظيم إبراهيم محمد (ت: 1429هـ): **خصائص التعبير القرآني وسماته البلاغية**، (مكتبة وهبة، ط1 - 1413هـ - 1992م).
- المغامسي، أبو هاشم صالح بن عوّاد: **سلسلة محاسن التأويل**، (بلا معلومات نشر).
- --------------- : **معالم بيانية في آيات قرآنية**، (بلا معلومات نشر).
- المقدم، محمد أحمد إسماعيل: **تفسير القرآن الكريم**، (بلا معلومات نشر).
- ---------------: **دروس محمد إسماعيل**، (بلا معلومات نشر).
- ابن المنيّر: **الانتصاف فيما تضمنه الكشاف**، (مطبوع بحاشية تفسير الكشاف)، (بيروت، دار الكتاب العربي، ط3 - 1407هـ).
- ابن منظور، محمد بن مكرم الأفريقي المصري (ت: 711): **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، ط1).
- النحاس، أحمد بن محمد المرادي (ت: 338هـ): **إعراب القرآن**، (بيروت، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون، ط1 - 1421هـ).
- النَّسَفِيّ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود (ت: 710هـ): **مدارك التنزيل وحقائق التأويل**، تحقيق: يوسف علي بديوي، (بيروت، دار الكلم الطيب، ط1 - 1419هـ - 1998م).

- أبو نُعَيْم، أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت: 430هـ): **دلائل النبوة**، تحقيق: د. محمد رواس قلعه جي، عبد البر عباس، (بيروت، دار النفائس، ط2 – 1406هـ – 1986م).
- النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري (ت: 676هـ): **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ط2 – 1392هـ).
- ابن هشام، أبو محمد عبد الله بن يوسف الأنصاري (ت: 761هـ): **أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، (بيروت، دار الجيل، ط5 – 1399هـ – 1979م).
- ---------------------: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: د. مازن المبارك/ محمد علي حمد الله، (دمشق، دار الفكر، ط6 – 1985).
- الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد (ت: 468هـ): **أسباب نزول القرآن**، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان،(الدمام، دار الإصلاح، ط2 – 1412هـ – 1992م).
- ---------------------: **الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، (دمشق، بيروت، دار القلم، والدار الشامية، ط1 – 1415هـ).
- ---------------------: **الوسيط في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، (لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ط1 – 1415هـ – 1994م)، (3/ 199).

ملحق آيات الدراسة

﴿سورة المائدة﴾

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿٤١﴾ ﴾

﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾ ﴾

﴿سورة الأنفال﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ ﴾

﴿سورة التوبة﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣ ﴾

﴿سورة الأحزاب﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ١ وَٱتَّبِعۡ
مَا يُوحَىٰٓ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرًا ٢ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ
وَكِيلٗا ٣ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ
وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ
لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٢٩ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ
عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ
مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ
عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ
ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٠ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن
يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ٥٩ ﴾

﴿سورة الممتحنة﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

﴿سورة الطلاق﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥ ۚ لَا تَدْرِى لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴿١﴾ ﴾

﴿سورة التحريم﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ ﴾

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ﴾

﴿سورة المزمل﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ ﴾

﴿سورة المدثر﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ﴿٧﴾ ﴾

An-Najah National University

Faculty Of Graduate Studies

Divine Call for Profet Mohammad in the Holly Quran

Prepared by

Hamzah Shawahneh

Supervised by

Dr. Odeh Abdullah

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Jurisprudence Islamic law(Usol Al-Din), Faculty of Graduate Studies , An-Najah National University , Nablus , Palestine .

2014

Divine call for profet Mohammad
in the Holly Quran
Prepared by
Hamzah Abdullah Shawahneh
Supervised by
Dr. Odeh Abdullah

Abstract

This research is a Quran study and it is astep of the subjective explanation of the Quran. It deals with the God's call for the prophet Mohammad in the Quran, and it's divided into four chapters, introduction and asummary. In its introduction it talks about the importance of this study as for the other chapters, It talks in the first chapter about the call and its evidences in the context of the Quran including the phrasal and lexical meaning of the Gods call and showing its synonyms.

Chapter two talks about the Gods call for all the prophets (PBUH) in the Quran and about its importance and its general propereties and showing these calls. Chapter three talks about the style of Gods call for his prophet Mohammad as prophet and a messenger and what was derived from his origin state and to clarify what was called as acall for him as aprophet.

Chapter four talks about the propereties and meanings of the calls for the prophet Mohammad and what follows these calls.

This study was written by using the explanation prefernces of Quran and it is finished whith asummary that includes the results of this study.

This study includes a collection of indexes arranged according to the scientific reresearch basics and followed by an indexes which includes all the verses used in this study.